كتابك

٣٢

محمد عبد الغنى حسن

التاريخ عند المسلمين

دار المعارف

كتابك

هـذا الكتاب

- أهمية التاريخ عند المسلمين .
- مدى اهتمام المسلمين بالتاريخ وتنوع كتاباتهم فيه ابتداء من تاريخ العرب إلى عصر الفتوح . .
- أول تدوين للتاريخ عند المسلمين وظهور بعض الرواة والإخباريين .
- المؤرخون المسلمون وغير المسلمين . .
- دور الشعر العربى فى مسالك الحياة ودروبها .

هذه بعض معالم تلك الرحلة الممتعة التى يقدمها هذا الكتيب . .

٤٥٠٢٩٨ / ١

١٠ ج

كتابك (٣٢)

رئيس التحرير: أنيس منصور

محمد عبد الغنى حسن

التاريخ عند المسلمين

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

أهمية التاريخ عند المسلمين

لا شك أن الرصيد الهائل الكبير من كتب (التاريخ) عند المسلمين- منذ ابتداء عصر التدوين فى أواخر القرن الثانى الهجرى- يؤكد لنا أن المسلمين اهتموا بالتاريخ اهتماماً كبيراً قلَّ أن نجد له مثيلا عند غيرهم. والحق أن العرب والمسلمين قد شققوا الكتابة فى التاريخ، وافتنوا فى تفريعها إلى فنون كثيرة، فنراهم كتبوا فى تاريخ العرب القديم والحديث، وفى أيام العرب فى الجاهلية والإسلام، وفى مغازى الرسول ﷺ وسيرته، وفى الفتوح، وفى تاريخ الرجال وطبقاتهم، وفى تاريخ المدن والأمصار والخطط، وفى التاريخ السياسى العام والخاص، وفى تاريخ الرسل والملوك، وفى الأنساب وتواريخ القبائل، بل كتب بعضهم فى «المعارف» العامة التى تتصل بالتاريخ منذ بدء الخليقة إلى عصره.

ويظهر أن العلم (بالتاريخ) كان هدفاً أساسًا عند الخليفة أو الأمير أو الحاكم بصفة عامة. ولم يكن القصد من ذلك العلم التسلية أو إزجاء الفراغ بسماع أخبار وحوادث وسير قد تكون الأساطير أضفت عليها لوناً من غير الحقيقة، وإنما كان القصد من العلم التاريخى هو إمداد الحاكم المتمثل فى شخص الخليفة أو غيره بفيض من المعارف التاريخية البعيدة

والقريبة التى تزوده بزاد من العلم الذى يعينه على الحكم بوعى وفهم لمجريات الأحداث قبله . ومن هنا نستطيع أن نقرر أن عامل «المنفعة» كان بارزاً فى اهتمام الخلفاء بالتاريخ ، لأنه أداة صالحة تعين على الحكم الصالح الذى كان ينشده الحاكم المسلم . ومن هنا -أيضاً- نفهم سر إجماع المؤرخين المسلمين -على توالى العصور- على ناحية «العبرة» و«الموعظة» و«المنفعة» المستمدة من المعرفة بالتاريخ ، والمكتسبة من الاطلاع عليه والإلمام به . ومن هنا كذلك نستطيع أن ندرك سر العالم المؤرخ القديم القائل فى علم التاريخ : (مجمع أخبار العلماء ومذاهبهم . والحكماء وكلامهم ، والزهاد والنساك ومواعظهم ، عظيم الغناء ، ظاهر المنفعة فيما يصلح الإنسان به أمر معاده ودينه أوسريرته فى اعتقاداته وسيرته فى أمور الدين ، وما يصلح به أمر معاملاته ومعاشه الدنيوى . وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك وسياستهم ، وأسباب مبادئ الدول وإقبالها ، ثم سبب انقراضها ، وتدبير أصحاب الجيوش والوزراء ، وما يتصل بذلك من الأحوال التى يتكرر مثلها وأشباهها أبداً فى العالم . غزير النفع ، كثير الفائدة ، بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كلّه ، وجرَّب الأمور بأسرها ، وباشر تلك الأحوال بنفسه ، فيغزر عقله ، ويصير مجربا غير غرٍّ ولا غمر . . .) .

ويبدو لنا مبلغ اهتمام الخلفاء بالتاريخ والاستماع إليه والإفادة منه مما صنعه الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان الذى صارت إليه خلافة

المسلمين بعد الخلفاء الأربعة الراشدين ، والذى صارت «الخلافة» إليه منذ تولاها – بعد صراع مرير مع الإمام على بن أبى طالب ، ومحاورات ومناورات مع ابنه الحسن رضى الله عنه انتهت بنزوله عن الخلافة لمعاوية . . . فقد روى المؤرخون أن معاوية كان يجلس لأصحاب الأخبار – وهم الطبقة الراوية الأولى من المؤرخين المسلمين – فى كل ليلة بعد العشاء ، ويظلون بحضرته إلى ثلث الليل ، وهم يقصُّون عليه أخبار العرب وأيامهم ، وتواريخ ملوك العجم وسياستهم فى رعيتهم ، وسائر ملوك الأمم وحروبها ومكايدها . ثم يذهب إلى فراشه فى ثلث الليل ويقوم فيأتيه غلمان مرتَّبون وعندهم كتب – أو رسائل – قد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فيقرءون عليه ما فى تلك الكتب من سير الملوك وأخبار الحروب ومكايدها وأنواع السياسيات .

والمعتقد – بل القريب من اليقين - أن تلك الكتب والرسائل التاريخية لم تكن باللغة العربية ، بل كانت بلغات الأعاجم من اليونان والرومان وغيرهم ، لأن تدوين العلوم والأخبار لم يكن قد بدأ حتى عصر معاوية ، فإنه بدأ فى زمان متأخر عن هذا ، أعنى فى القرن الثالث الهجرى ، ومعاوية كان فى النصف الأول من القرن الأول الهجرى . وكان معاوية بالطبع لا يعرف غير العربية ، ولهذا نستظهر أن قراءة تلك الكتب عليه فى كل ليلة كانت عن طريق الترجمة الفورية العفوية ، لا الترجمة المكتوبة . ولم يكتف معاوية بهذا ، بل إنه استقدم الراوية الإخبارى

(عَبيد بن شريَّة) اليمنى من صنعاء إلى دمشق عاصمة الأمويين ، فكان يقص عليه أخبار العرب الأقدمين وسير ملوكهم . ويقال إن معاوية أمر بتدوين أخباره ورواياته الشفوية فى رسائل كان منها كتابان ، أحدهما كتاب (الملوك وأخبار الماضين) ، والآخر كتاب (الأمثال) ولقد عاش «عبيد» هذا إلى سنة ٦٧ هـ حيث توفى فى عهد عبد الملك بن مروان .

وقد امتد اهتمام الخلفاء بالتاريخ إلى العصر العباسى بعد الذى بدا من اهتمام الأمويين بالتاريخ . فقد كان الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، والوليد بن عبد الملك يوجهان أسئلة تاريخية إلى الراوية المؤرخ «عروة بن الزبير» أخى «عبد الله ومصعب بن الزبير» ، وكان «عروة» يجيب عن هذه الأسئلة – وخاصة ما يتصل بسيرة النبى ﷺ ومغازيه – من أحاديث جمعها . وبلغ من اهتمام الخليفة الأموى العادل عمر بن عبد العزيز بالتاريخ أنه أمر الراوية العالم بالمغازى والسير : عاصم بن عمر بن قتادة – وهو أنصارى من أهل المدينة – أن يجلس فى مسجد دمشق ليحدث الناس بالمغازى وسيرة الرسول ﷺ ومناقب الصحابة ، ففعل . وقد توفى هذا الراوية فى سنة ١٢٠ هـ أو سنة ١٢٩ هـ . وكان من المصادر التى اعتمد عليها «ابن إسحاق» صاحب السيرة النبوية التى هذبها ابن هشام ، «والواقدى محمد بن عمر» المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

ولم يقلَّ خلفاء العباسيين وأمراؤهم اهتماماً بالتاريخ عن الأمويين ؛ فإن الخليفة أبا جعفر المنصورى حرص على أن يتصل به المؤرخ «ابن

إسحاق » صاحب السيرة النبوية ، وطلب منه أن يقوم بتأليف كتاب لابنه المهدى يتناول التاريخ العام منذ خلق آدم إلى يومه . وقد قام ابن إسحاق بالمهمة وألف هذا الكتاب الذى وجده المنصور طويلا فأمره باختصاره .

وكان المؤرخون والإخباريون والرواة موضع التقديم والتقريب عند العباسيين . فلما زار الخليفة العباسى « المهدى » مدينة الرسول ﷺ وسمع باسم الراوية (أبى معشر السندى) ، واسمه نجيح ، استقدمه إليه واستصحبه معه إلى بغداد ، وأجرى عليه رزقاً قدره ألف دينار ، وقال له : (تكون بحضرتنا فتفقِّه من حولنا) . ولم تكن دروسه ببغداد حول العلم والفقه وحسب ، بل كان يروى معارفه فى التاريخ ، وخاصة فى كتابه : « المغازى » الذى نقل عنه الواقدى ، وابن سعد صاحب كتاب « الطبقات » المشهور .

ومحمد بن عمر الواقدى هذا هو الذى كشفه – أو اكتشفه – يحيى بن خالد البرمكى للخليفة هارون الرشيد ، فقد زار الرشيد مدينة الرسول ﷺ سنة ١٧٠ هـ فقال لوزيره يحيى : ارتدْ لى رجلا عارفا بالمدينة والمشاهد ، وكيف كان نزول جبريل عليه السلام على النبى ﷺ ، ومن أى وجه كانْ يأتيه ، وقبور الشهداء ، فسأل يحيى بنُ خالد حتى اهتدى إلى « الواقدى » فقدمه إلى « هارون » ، فعرفه معالم مدينة الرسول . وطلب منه يحيى أن يصير إليه فى العراق – على نحو ما تفعل الدول اليوم فى استقدام العقول البشرية إليها – ففعل ونشر علمه وروايته هناك ، وحظى

بعطف كبير من يحيي البرمكى . ولما نكب البرامكة جزع «الواقدى» عليهم ، وكان يكثر الترحم عليهم بعامة . وعلى يحيى بن خالد بخاصة . . .

وإذا كان علم (التاريخ) قد لقى من خلفاء المسلمين مساندة ومظاهرة له واهتماماً به ، فإن المؤرخين أنفسهم -سواء أكانوا رواة أم مدونين- قد اهتموا به ، وأظهروا فضيلته . ولا تكاد تخلو مقدمة كتاب فى التاريخ الإسلامى من إشادة المؤلف والمؤرخ بعلم التاريخ ، والتنبيه المتكرر على مزيته ، والتوكيد على شدة ضرورته للحاكم والمحكوم على السواء . ولو استعرضتَ ماكتبه المؤرخ «الطبرى» فى مقدمة كتابه العظيم -الذى أعادت دار المعارف طبعه بتحقيق الأستاذ «محمد أبو الفضل إبراهيم» وماكتبه المؤرخ «عزالدين بن الأثير» فى تقديمه لكتابه : «الكامل» ، وماكتبه المؤرخ «ابن خلدون» فى مقدمته المشهورة لكتابه الكبير فى التاريخ ، وماكتبه «ابن الفرضى» ، و«ابن الجوزى» و«العماد الأصبهانى» و«ابن خميس» مؤرخ الأندلس وصاحب «تاريخ مالقة» وغيرهم من أصحاب المطولات والموسوعات والمختصرات -لوقفت على مبلغ اهتمام المؤرخين المسلمين أنفسهم بالتاريخ ، لا من حيث تدوينه والتصنيف فيه فحسب ، بل من حيث إبراز أهميته فى مقدمات كتبهم .

ولم يكن المؤرخون وحدهم أصحاب الاهتمام بفائدة التاريخ ومزيته ، فقد وقف الفقهاء وعلماء التشريع يناصرون قضية التاريخ ، كما فعل

« ابن أبي الدم » المتوفى سنة ٦٤٢ هـ الفقيه الشافعى المؤرخ ، وغيره من العلماء الذين عرفوا للتاريخ أهميته .

وما زال اهتمام العلماء والمؤرخين والخلفاء والأمراء والحكام بالتاريخ باقيا على مر العصور . ولم ينقطع ذلك الاهتمام أو يقل لحظة . فقد روى أن « بدر الدين لؤلؤ » صاحب بلاد الموصل وأميرها فى القرن السابع الهجرى كان يتلهى فى مجالس أنسه ولهوه بسماع الأشعار ، والملهى من الحكايات ، فإذا ما دخل شهر رمضان أحضرت له كتب التواريخ والسير ، وجلس الزين « الكاتب » ، وعز الدين المحدث يقرأان عليه أحوال العالم . . .

أول تدوين التاريخ

عند المسلمين

الحق أن تاريخ العرب والمسلمين مدين فى الاهتمام به وروايته وتدوينه لسيرة الرسول ﷺ وأخبار غزواته . فقد دفع حرص المسلمين على معرفة أخبار محمد ﷺ طائفة من الرواة لحفظ هذه الأخبار ونشرها عن طريق الرواية الشفوية ، ثم عن طريق التدوين .

ولا يدخل عنصر المحبة والتنظيم وحده لهذا الاهتمام بسيرة الرسول ﷺ ، فإن انبهار العرب والمسلمين بما أحدثه النبى الكريم ﷺ من انقلاب شامل فى جزيرة العرب . قد دعاهم إلى التعرف على سيرته وخطوات جهاده . على أن عنصر (المصلحة الإسلامية العامة) كان من البواعث المضافة إلى هذا الاهتمام . فإن الوقوف على أقوال الرسول ﷺ وأفعاله كان ضروريًّا جدًّا للاهتداء بهديها ، والاستناد إليها فى التشريع وفى السلوك السوىّ فى الحياة ، كما أن غزواته ﷺ وغزوات أصحابه كانت لوناً من المعرفة يبصِّر الناس بحياة نبيهم ، لما ترتب عليها من أحكام يحتاج إليها المسلمون فى وضعهم الجديد ، كالذى ترتب على المغازى من فتح ديوان للعطاء ، ومن معرفة أدوار الرجال فى حركة الغزوات على

حقيقتها حتى لا يدخل فى الحلقة من ليس منها ، وحتى تتحدد مواقف المجاهدين على قدر ما أسهموا به فى المغازى .

على أن هذا الاهتمام الجديد بمغازى الرسول وسيرته قد صاحبه بعض الاهتمام بأخبار القبائل وأيام العرب فى الجاهلية . ومن هنا بدأ التاريخ عند المسلمين باتجاهين مختلفين . أحدهما اتجاه « قبلى » يفرضه اهتمام العرب بأنسابهم وحروبهم وأيامهم ، على الرغم من دخولهم فى الإسلام وانضوائهم تحت لوائه ، والآخر اتجاه دينى إسلامى دعا إليه ونادى به الوضع الجديد للمسلمين .

ومن هنا رأينا فى القرن الأول الهجرى ظهور بعض الرواة والإخباريين مثل « وهب بن منبه » المتوفى سنة ١١٠ هـ ، أوسنة ١١٤ هـ وهو قصصى إخبارى ليس من المحدثين ، ولكنه اعتنى بالإسرائيليات وأساطير العهود القديمة فأدخلها إلى المرويات الإسلامية عن رجال مثل « كعب الأحبار » المتوفى سنة ٣٢ أوسنة ٣٤هـ ، و « عبدالله بن سلام « المتوفى سنة ٤٠ هـ ، وقد أضاف « وهب بن منبه » إلى هذه المرويات ما وصل إلى علمه عن طريق صلاته بأهل الكتاب ، وعن طريق قراءاته للكتب المقدسة . كما أضاف إليها ما حفظه من قصص وأساطير عن تاريخ اليمن ، وما رواه من شعر يتصل بذلك . ولعل اهتمام « وهب بن منبه » بتاريخ اليمن الشعبى وأساطيره يدلنا على تغلب روح القبيلة أو البلد عنده ؛ فقد كان « وهب « من أهل صنعاء باليمن ، وكان عالماً بأساطير الأولين

والإسرائيليات ، وكان يقول : سمعت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها فى الكنائس ، وعشرون فى أيدى الناس لا يعلمها إلا قليل . . . وقد ذكروا له كتاباً عنوانه (ذكر الملوك المتوَّجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم» . ويقول «ابن خلكان» صاحب وفيات الأعيان إنه رأى ذلك الكتاب فى مجلد واحد ، وإنه من الكتب المفيدة .

واهتمام «وهب بن منبه» بأخبار جزيرة العرب الجنوبية لأنه منها ، يقابله اهتمام من بعض الإخباريين والرواة بالقسم الشمالى من جزيرة العرب . . . ونستطيع أن نقول هنا إن روح المقابلة بين القحطانيين والعدنانيين قد ظهر واضحاً فيما رواه «وهب بن منبه» من ناحية ، وما رواه الإخباريون من مدرسة المدينة - على صاحبها السلام - من ناحية أخرى . . .

ولن نترك «وهب بن منبه» ودوره فى رواية التاريخ عند المسلمين دون أن نلم برأى النقاد فيه ، فقد قيل عنه إنه لم يكن يتحرى الدقة ، ولم يترفع عن الادعاء الكاذب . ويُعدُّ السخاوى المؤرخ وصاحب (الضوء اللامع) ، و (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) - أخباره غير جديرة بالمؤرخين الجديِّين . . .

وبجانب هذه المدرسة الغريبة فى التاريخ عند المسلمين كانت مدرسة (المدينة) التى أرسى قواعدها «محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى» المتوفى

سنة ١٢٤ هـ - أى قبيل نهاية العصر الأموى ببضع سنوات - والزهرى هو أستاذ «موسى بن عقبة» المتوفى سنة ١٤١ هـ و «محمد بن إسحاق» صاحب أقدم سيرة للرسول ﷺ - توفى سنة ١٥١ هـ ، وهى السيرة التى وصلتنا مهذبة فى سيرة ابن هشام.

والحق أن فضل هؤلاء الثلاثة لا ينكر على السيرة النبوية. فقد كان «الزهرى» أول من استعمل لفظ «السيرة» تعبيراً عن حياة الرسول. وتناول فى السيرة المغازى ، وفتح مكة ، وبعض سفارات النبى ، والوفود التى قدمت عليه ، وأهم المعالم البارزة فى حياته ﷺ إلى التحاقه بالرفيق الأعلى. وكان الزهرى من أسبق الناس إلى تدوين علمه وأخباره ومروياته ، حتى إنه قال عن نفسه : (ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى ولا بذله بذلى). وتظهر همته وجده فى جمع الحديث وتدوينه باعترافه هو وباعتراف غيره. وقد نفعه اهتمامه بجمع الحديث فى اهتمامه بسيرة الرسول ومغازيه. وهى سيرة مجموعة من الحديث لا من أفواه الرواة والإخباريين. وإذا كنا قد وقفنا عند الزهرى وقفة قصيرة ، فإن موسى بن عقبة ، وابن إسحاق لا يقلان عنه أهمية فى الوقوف. أما موسى بن عقبة فمولى للزبيريين ، ولعل صلته بعروة بن الزبير وابن هشام ، وهما من علماء المغازى ، قد أفادته علماً. وكان لموسى أخوان عالمان هما : إبراهيم ومحمد ، واشتهر أصغرهم موسى بالمغازى. وتحضرنا هنا شهادة الإمام مالك بن أنس له بقوله : (عليكم بمغازى «ابن عقبة» فهى أصح

المغازى) وينقل «ابن سعد» عنه فى (الطبقات) ، و«الطبرى» فى تاريخه ، كما ينقل صاحب الأغانى عنه أخبار «زيد بن عمرو» الذى كان يؤمن بالله فى الجاهلية ويكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها . وزيد هذا هو ابن عم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو من «الحنفاء» .

وأما «ابن إسحاق» فهو ليس من العرب بل من الموالى من أصل فارسى . وقد نشأ بمدينة الرسول وأخذ عن علمائها ، واشتهر بجمع أحاديث الرسول ﷺ ، وخاصة ما يتصل منها بالمغازى . وكما شهد الإمام مالك لموسى بن عقبة ، شهد الإمام الشافعى لابن إسحاق فقال : (من أراد أن يتبحَّر فى المغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق) .

وإذا كانت مغازى الرسول ﷺ وسيرته صاحبة الفضل الأول والدور الأعظم فى النواة الأولى للتاريخ عند المسلمين ، فإنه لا بد لنا من وقفة عند المغازى ونشأتها وتدوينها وبعض رجالها البارزين .

وتعنى المغازى غزوات الرسول وحروبه التى قام بها لقتال المشركين والدفاع عن الدين الجديد . وقد كانت سيرة النبى ومغازيه أول الأمر تدخل فيما يروى من الحديث النبوى . ولهذا نجد أكثر مؤرخى المغازى الأولى من أهل الحديث . ومن الحديث استفادوا الرواية والإسناد . وكانت أخبار المغازى والسيرة مبعثرة فى داخل الأحاديث من غير تبويب يؤلف بينها أو يجمعها فى باب واحد . فلما رتبت الأحاديث فى أبواب وكتب ، استقلت السيرة والمغازى بأبواب مستقلة فى كتب الحديث

ذاتها ، ثم لم نلبث أن وجدناها – أى المغازى والسير– مستقلة قائمة بذاتها فى كتب مستقلة منفصلة عن كتب الحديث . وإذا كنا نصادف فى صحيح البخارى – مثلا – كتاباً خاصًّا بالمغازى ، وفى صحيح مسلم كتاباً خاصًّا بالجهاد والسير بتناول مغازى الرسول وسيرته ، فإننا بعد ذلك رأينا كتباً فى المغازى والسير مستقلة عن كتب الحديث . وبهذا انتقلت سيرة الرسول ومغازيه من علم الحديث وكتبه ، إلى علم التاريخ وكتبه . . .

وقد ألف فى سيرة النبى ومغازيه جماعة من المؤلفين والرواة والمحدثين ، جاءوا على طبقات . ففى الطبقة الأولى نرى «أبان بن عثمان بن عفان» المتوفى سنة ١٠٥ هـ و «عروة بن الزبير بن العوام» المتوفى سنة ٩٢ هـ أو سنة ٩٤ هـ ، و «شرحبيل بن سعد» المتوفى سنة ١٢٣ هـ . و «وهب بن منبه» الذى سبق الحديث عنه . توفى سنة ١١٠ هـ . والثلاثة الأولون مدَنيُّون . يمثلون مدرسة المدينة تمثيلا صحيحاً ، والرابع يمنى كما سلف القول .

وفى الطبقة الثانية من مؤرخى السيرة يصادفنا ثلاثة رجال هم «عبد الله بن أبى بكر بن حزم» المتوفى سنة ١٣٥ هـ وهو مدنى ، و «عاصم بن عمر بن قتادة» المتوفى سنة ١٢٠ هـ ، وهو مدنى كذلك ، و «محمد بن شهاب الزهرى» المتوفى سنة ١٢٤ هـ ، وهو مكى .

وفى الطبقة الثالثة من مؤلفى السيرة والمغازى يصادفنا «موسى بن عقبة» المتوفى سنة ١٤١ هـ وهو مدنى ، و «محمد بن إسحاق» المتوفى سنة

١٥٢ هـ وهو مدنى ، و« محمد بن عمر الواقدى » المتوفى سنة ٢٠٧ هـ وهو مدنى ، كما يصادفنا من أهل العراق : « معمر بن راشد » المتوفى سنة ١٥٠ هـ وهو بصرى ، و« محمد بن سعد » صاحب الطبقات المتوفى سنة ٢٣٠ هـ وهو بصرى كذلك ، و« زياد البكائى » المتوفى سنة ١٨٣ هـ وهو كوفى ، ويأتى فى ختام هذه الطبقة « ابن هشام » المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، وهو الذى نقل إلينا سيرة ابن إسحاق مهذبة .

الإخباريون ودورهم فى التاريخ

لقد ظهر بجانب مؤرخى المغازى والسير طائفة أخرى من «الإخباريين» الذين اهتموا بالأخبار القديمة ، والقصص ، اهتماماً طغى على المغازى والسير. ويبدو أنهم وجدوا فى هذا اللون من الأخبار والحكايات والنوادر والأشعار تسلية للسامع قبل التدوين ، وللقارئ بعد عصر التدوين ، كما وجدوا فيها ملء مجالس السمر عند الأمراء . ومن عجب أن المساجد اتسعت لهؤلاء الإخباريين الذين كانت أخبارهم تحتوى على كثير من التواريخ المزدحمة بالقصص والأساطير والبطولات المبالغ فيها ، والأشعار المثيرة للانفعالات ؛ وأخبار القبائل وما كان يدور بينها . ولاشك أن هؤلاء الإخباريين كانوا –برواياتهم– النواة الأولى للرسائل التاريخية التى أخذت بعد ذلك تظهر وتؤرخ لأحداث بزغت منذ العهد الإسلامى ، وتلونت بلون معين ، كحوادث الردة ، وفتوح الشام والعراق ، ومصارع الخلفاء ، والخلاف بين الأمويين والعلويين ، وقيام الدولة العباسية وغير ذلك من الأحداث التاريخية التى أخذت تظهر بكثرة فى العالم الإسلامى .

ولقد اهتم «الإخباريون» بهذه الحوادث روايةً وتدويناً ، وأقبل الناس عليها أول الأمر لما فيها من معرفة بالحقائق حول قيام الدولة الإسلامية ،

وسقوط الإمبراطوريات القديمة كالفرس والرومان ، ولما فيها من تسلية واستمتاع ، فإن النفس ترتاح دائماً لسماع هذه الأخبار ، وقد تجد فيها منفعة لما ترجوه من سلوك فى الحياة .

وقد ساعدت تلك الأخبار والأحداث على أن تكون عوناً على فهم التشريع الإسلامى ، واتخاذه أصلا للمعاملات الجارية بين الناس . فأخبار الفتوح وأعمال فاتح مثل عمر بن الخطاب وسيرته وسيرة قواده فى البلاد المفتوحة كانت أساساً استند إليه العلماء والفقهاء والأئمة فى شئون الجهاد ، وتقرير الخراج ، ومعاملة أهل الذمة ، وغيرها . وهى أمور لم يكن مفر من معرفتها لمواجهة الوضع الجديد فى الإمبراطورية الإسلامية . وقد اختلفت أحوال البلاد المفتوحة ما بين بلاد فتحت صلحاً ، وأخرى فتحت عنوة ، ولكلٍّ طريقةٌ خاصةٌ لما يترتب على ذلك من اختلاف فى الجزية والخراج . فلا بد من معرفة تاريخية بهذه الأمور وأشباهها . ومن هنـا اهتم هؤلاء الإخباريون بأخبار الفتوح ، ونقلها عنهم الرواة والمؤرخون فى كتبهم حين بدأ عهد التدوين ، وانتهى الأمر إلى أن أفردت لها كتب خاصة ، فلم تأت ضمن كتب التاريخ العامة -كالطبرى مثلا- ولكنها استقلت بكتب قائمة بذاتها ، مثل كتاب «فتوح البلدان» للبلاذرى ، و«فتوح الشام» للواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، و«فتوح مصر والمغرب» لابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ ، «وفتوح بيت المقدس» وغيرها .

على أن هناك أمراً آخر دعا هؤلاء المؤرخين إلى الاهتمام بأخبار الفتوح ، وهو تلك الروح العصبية القبلية التى سادت بجانب العصبية الدينية . فكان المؤرخ حريصاً على إبراز الدور الذى قامت به قبيلته فى القتال ، وذلك بقية مما ورثه العرب فى عهد الإسلام عن آبائهم فى العصر الجاهلى . ولم يستطع الدين الجديد – على ما فيه من دعوة عالمية واسعة غير ضيقة بحدود القبيلة – أن يغير كثيراً من هذا الميراث القبلى الذى بدا ظاهراً فى رواية الأخبار وقصص التاريخ .

ولقد اقتضت كثرة الخلافات بين المسلمين ، ما بين مهاجرين وأنصار ، وعلويين وأمويين ، وأمويين وعباسيين ، وعباسيين وعلويين ، وأمويين وشيعة ، وقحطانيين وعدنانيين ، بل بين بصريين وكوفيين ، وهو خلاف تجلى حتى فى النحو ، فهناك نحاة البصرة ونحاة الكوفة ، وهناك من يتعصب لهذا على ذاك اقتضت هذه الخلافات وأشباهها مما ليس هنا مجال حصره أن يروى كل فريق الأحداث من وجهة نظره هو لا من وجهة نظر خصمه ، واقتضى ذلك أن تؤسس عليه خلافات فى الخلافة والإمارة ، وفى نظرية الإمام عند المسلمين ، وفى طاعة الإمام ، وفى عقد البيعة للخلفاء وأسباب صحتها أو بطلانها ، وفى قضية الخوارج والتحكيم وما إليها . وبهذا رويت هذه الأخبار وتنوقلت ودونت فيما بعد لتكون دعامة وسنداً لكل فريق يؤيد بها وجهة نظره .

وكانت هذه الأخبار تُروى أول الأمر مشافهة ، يرويها أصحابها عن

الذين شاهدوها وشاركوا فيها ، أو يروونها عن رواة آخرين اتصلوا بأصولها الأولى عن طريق المعاصرة . ثم جاء جيل يدون هذه الأخبار الشفوية فى رسائل على هيئة كتب ، وكثرت هذه الرسائل والكتب حين أدخلت صناعة الكاغد –الورق– إلى بغداد ابتداء من أول القرن الثالث الهجرى . وبهذا تحولت الأخبار والروايات الشفوية إلى أخبار ورسائل مدونة .

ومن سوء الحظ أن كثيراً من هذه الرسائل والكتب الأولى قد ضاعت ولم تصلنا أصولها بذاتها ، وإن كانت وصلت إلينا عن طريق روايتها وتدوينها فى مؤلفات تاريخية أكبر ، مثل تاريخ الطبرى والمسعودى والبلاذرى وغيرهم ، ومن عجب أن هذه الرسائل والكتب والمدونات التاريخية الأولى كانت تدور حول موضوعات وقضايا متفرقة . وكانت كل رسالة تختص بموضوع واحد معين لا تتجاوزه إلى غيره ، فهناك رسائل فى حروب الردة ، ورسائل فى وقعة الجمل ، ورسائل فى وقعة صفين ، ورسائل فى مقتل الحسين ، ورسالة فى الأزارقة وأخبارهم ، ورسائل فى مسير على وعائشة . وكان للمؤرخ الإخبارى الواحد رسائل كثيرة بلغت عند بعضهم بضعاً وثلاثين رسالة . ولا شك أن هذه الرسائل المدونة كانت النواة الأولى للمؤرخين الذين اعتمدوا عليها فى تدوين تواريخهم العامة . كالذى نجده فى كتاب الطبرى .

ومهما يكن من أمر هذه الرسائل الأولى ، ومهما يقل فى أنها كانت غير

مرتبة ولا متسلسلة ولا منظمة ، ومهما يقل من غلبة عدم التحقيق والدقة فيها ، وجواز تسرب الوضع إليها ، فإنها كانت ذات فضل كبير فى إمداد المؤرخين النظاميين كالطبرى ، واليعقوبى ، والمسعودى ، بسيل غزير من المادة التاريخية ، ولو أن هذا السيل كان طاميًا إلى حد أنه لم يستطع المؤرخون فيما بعد أن يغربلوه ، ويصفُّوه مما علق به من مناقضات ومبالغات وزيف ، ويكشفوا عما به من وضع ، فإن الوضاعين –مع الأسف– قد وجدوا إلى مثل هذه الروايات مدخلاً واسعاً . وكان هؤلاء الإخباريون غير أصحاب المغازى والسير الذين كانوا يتحرون الصدق والضبط والتحقيق فى كل ما يروون ، إلا قليلاً ممن عصم ربك من أمثال « على بن محمد المدائنى » المتوفى سنة ٢٢٥ الذى كان من الثقات المشهود لهم و لم يطعن فيه واحد من المحدثين كما طعنوا على غيره من الإخباريين .

وأكثر هؤلاء الإخباريين من العراق وخاصة مدرسة الكوفة ، وإن كان فيهم بعض رجال من مدرسة المدينة . ويأتى على رأس هؤلاء الإخباريين : « أبو مخنف لوط بن يحيى » المتوفى سنة ١٥٧ هـ ، وهو راوية إخبارى عالم بالسير والأنساب . وهو من أهل الكوفة ويرجع بنسبه إلى الأزد . وقد أحصى له المستشرق « بل » فى دائرة المعارف الإسلامية اثنتين وثلاثين رسالة فى التاريخ ، تتناول حوادث مختلفة وقعت فى إبان القرن الأول الهجرى ، ولم تصل إلينا هذه الرسائل ، ولكن الطبرى المؤرخ حفظها لنا فى تاريخه . وقد نسبت إليه رسائل أخرى ليست له ، ولكنها مما

وضعه المتأخرون . ومن رسائله : كتاب الردة ، وكتاب فتوح الشام ، وكتاب صفين ، وكتاب الجمل ، وكتاب مقتل على ، وكتاب مقتل الحسين ، وكتاب الأزارقة ، وكتاب الخوارج والمهلب ، وكتاب الشورى ، وأخبار المختار بن أبى عبيد الثقفى وهو مطبوع .

ويبين لنا هذا العرض لبعض كتب «أبى مخنف» أنه كان يتناول التاريخ موضوعيًّا كقضايا مستقلة ، ولا يتناوله تاريخيًّا على وفق السنين . فهو مؤرخ موضوعى . ويبدو أن ذلك كان منهج أكثر الإخباريين أصحاب الرسائل .

ويظهر أن إقليمية «أبى مخنف» الكوفية العراقية جعلته أعلم فى أمر العراق وفتوحه وأخباره من غيره . فقد كان العراق مجال تخصصه فى الأخبار والتواريخ ، كما كانت خراسان والهند وفارس مجال تخصص «المدائنى» ، وكانت الحجاز والمدينة وساكنها عليه الصلاة والسلام مجال تخصص «الواقدى» . ويؤيد هذا ما فعله صاحب الفهرست حين قال : (قالت العلماء : أبو مخنف بأمر العراق وفتوحها وأخبارها يزيد على غيره ، والمدائنى بأمر خراسان والهند وفارس ، والواقدى بالحجاز والسيرة . وقد اشتركوا فى فتوح الشام)

ومن المؤسف أن يكون أبو مخنف موضعاً للطعن فى روايته ، فقد قال عنه الفيروز آبادى صاحب القاموس المحيط إنه «إخبارى شيعى تالف متروك» — أى متروك الحديث . واتهمه بعض المؤرخين بأنه كان يروى عن

جماعة من المجهولين . وعلى كل فهو لا يبلغ فى التوثيق والتحقيق مبلغ المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥ هـ .

والحق أن المدائنى يعد شيخ الإخباريين وعمدتهم وأوثقهم إخباراً وأقلهم مطعناً ، وهو عراقى من أهل البصرة ، ثم سكن المدائن ، ومنها انتقل إلى بغداد .

وقد اشتغل أولاً بعلم الكلام وتتلمذ فيه على « معمر بن الأشعث » ، ثم اشتهر بعد ذلك بالأدب والتاريخ . وقد جرَّت عليه صلته بإسحاق بن إبراهيم الموصلى مالاً كثيراً ورزقاً وافراً . وقد عدّله ابن النديم صاحب الفهرست ٢٣٩ كتاباً أو رسالة ، وهو قدر كبير جدًّا لا يقاس به ما ذكرنا عن أبى مخنف مما عده المستشرق « بل » .

ويدل هذا القدر الكبير الواسع من الرسائل والكتب على كثرة إحاطة المدائنى بموضوعات التاريخ الإسلامى ، فقد كتب فى موضوعات مثل أخبار قريش ، وأخبار النساء ، وأخبار الخلفاء ، ومن نسب إلى أمه ، وأخبار الشعراء ، ومقتل عثمان ، والجمل والردة ، وأخبار الخيل ، والرهان ، وأخبار النبى ﷺ . وبالطبع قد ضاعت كل هذه الكتب والرسائل فيما ضاع من تراث العرب والإسلام . ويبدو أنها ضاعت بعد عهد « عبد القادر البغدادى » صاحب (خزانة الأدب) المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ ، فقد اطلع البغدادى على بعض كتبه واستعان بها فى تأليف الخزانة ، ولكنها ضاعت بعد ذلك ، وإن كان بقى منها ما رواه الطبرى ،

والمسعودى ، وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد . والأصبهانى صاحب الأغانى فى كتبهم .

ويقابل المدائنى فى تاريخ الإسلام وأخباره أبا عبيدة فى تاريخ الجاهلية ، فكل منها محيط بموضوعه أوسع إحاطة . ولقد كان أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ هـ تلميذاً لأبى عمرو بن العلاء واسمه زيان بن عمارة المتوفى سنة ١٥٤ هـ ، وإن كان الأدب واللغة يغلبان على أبى عبيدة وأبى عمرو بن العلاء ، كما أن التاريخ يغلب على المدائنى ، ولهذا يدخل المدائنى فى تصنيف المؤرخين ، كما يدخل أبو عبيدة وابن العلاء فى تصنيف الأدباء واللغويين» .

ويأتى «عوانة بن الحكم» المتوفى سنة ١٤٧هـ فى مجموعة الإخباريين الكوفيين . ويعد من الثقات فى أخبار الخلفاء الراشدين وحروب الردة والفتوح ، وقصة الصراع بين الإمام على وخصومه ، ونزول الحسن لمعاوية عن الخلافة . وله كتاب فى سيرة معاوية وبنى أمية حتى عهد عبد الملك بن مروان . وكانت صلته بالأمويين وثيقة ولهذا جاءت معلوماته عنهم قريبة من الصحة لأنها مستقاة من منابعها الأصلية . وتبدو فى معارفه التاريخية وأخباره نغمة أموية موالية . وإن كان يمتاز بإبراز الروايات الأخرى المضادة للأمويين ولا يحاول إخفاءها ، مما يجعلنا نطمئن إلى أنه لم يكن متعصباً لفريق على فريق .

ولن يفوتنا ونحن فى معرض الحديث عن الإخباريين من العراقيين

الكوفيين أن نلم قليلاً باثنين منهم ، أحدهما : « سيف بن عمر » المتوفى سنة ١٨٠ هـ وقد جمع فى روايته بين مدرستى المدينة والعراق ، وألف كتابين أحدهما فى « الردة » ، والآخر فى « الفتـوح » وهو من الإخباريين الذين صنعتهم مدرسة الحديث ، ولم يرو له إلا « الترمذى » على حين أهمله أكثر المحدثين لضعف توثيقه . وقد ضاع كتاباه ولم يبق منهما إلا ما حفظه منهما الطبرى فى كتابه . ويمتاز بأنه كان يصبغ رواياته وأخباره بلون مشرق جميل ، ويضفى عليها ما يجعلها أكثر إغراء وتشويقاً . ولعل هذه العناية بالأسلوب وشدة التحفى به جاءت على حساب الدقة المتوخاة ، فجاءت أخباره أقل دقة ، وإن كانت أكثر تفصيلاً من أخبار غيره من الإخباريين . .

والآخر هو « نصر بن مزاحم » المتوفى سنة ٢١٢ هـ ، وهو كوفى . وكانت ميوله واتجاهاته الشيعية تنعكس على مروياته ورسائله التى منها : مقتل الحسين ، والجمل ، وصفين ، وأخبار المختار ، ومناقب الأئمة . وكان شأن كتبه شأن كتب الإخباريين التى ضاعت ولم تصلنا إلا عن طريق حفظها بالنقل والرواية فى كتب أخرى كالطبرى .

وقد بلغ من تحيز ابن مزاحم للعلويين وميوله العلوية الواضحة أنه كان يورد الأحاديث التى تجرح معاوية وقومه وتساند الإمام « على » وقضيته . وقد أسرف فى إبراز مثالب معاوية ومناقب على ، مما جعله موضع النقد عند قوم ، وإن كان قد أثنى عليه قوم آخرون . ولا يخفى أن الساخطين

عليه هم من مخالفيه فى الرأى وخصومه ، وأن الراضين عنه هم من الذاهبين مذهبه فى التشيع .

ويميل نصر بن مزاحم فى كتابته إلى الأسلوب المشوق الجذاب ، المشتمل على شعر كثير . فهو فى كتابته التاريخية الإخبارية أميل إلى أسلوب أيام العرب منه إلى الأسلوب التاريخى الواضح المجدد . . .

ويسوقنا اهتمام مؤرخ إخبارى بالشعر وإدخاله فى مروياته التاريخية — كنصر بن مزاحم — إلى أن نخص الفصل التالى بالحديث عن الشعر فى متن التاريخ

الشعر فى متن التاريخ

لقد أدى الشعر العربى دوراً كبيراً فى تاريخ الأدب العربى ، كما قام بدور كبير فى مسالك الحياة العربية ودروبها ، وظل فى الجاهلية وفى عصور الإسلام كلها عنصراً مهمًّا من عناصر فن القول ، ما عدا تلك الفترات من الضعف التى مرت عليه ولم يكن معدى عنها بحكم الظروف الغالبة المتحكمة فى مسيرة الشعر والأدب قوة وضعفاً .

وإنك لو تناولت سيرة الرسول عليه السلام ومغازيه لوجدت للشعر فيها مجالاً غير ضيق . ولو تناولت سيرة ابن هشام للنبى عليه الصلاة والسلام التى انتهت إلينا من سيرة المؤرخ محمد بن إسحاق ، والتى وصلت إلينا مهذبة على يد ابن هشام لوجدت الشعر غالباً فيها بكثرة تسترعى النظر ، وهو شعر جاهلى وإسلامى . ولكن المؤرخ ابن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ لا يؤمن بصحة هذه الأشعار ، وينبه كثيراً على الخلط والخطأ فى نسبها إلى أصحابها ، أو ينكر معرفة أهل العلم بالشعر لها . . . وكأنه بهذا لا يكتفى بأن يكون مؤرخاً ومهذباً لسيرة الرسول التى كتبها محمد بن إسحاق ، بل يضيف إلى معرفته بالتاريخ والمغازى معرفة وثيقة بالشعر ، وهى معرفة تبين الفرق بينه وبين ابن إسحاق الجاهل بالشعر . . .

ومهما يُقل فى صحة الأشعار الواردة فى سيرة بن هشام أو خطئها فإن

الحديث هنا ليس عن صحة الشعر وتحقيقه ، بل عن اهتمام المؤرخين برواية كل شعر يتصل بموضوع كتبهم . فلقد كان للشعر صولة ودولة فى العصر الذى روى فيه الإخباريون أخبارهم ، بدءًا من القرن الأول الهجرى . وكان الشاعر القريب من الخليفة والمادح له ، والمتحدث بدولته هو الشاعر الذى يحفظ الناس له شعره ويروونه . وكان للشعر حين يروى فى معرض حادثة أو واقعة من أيام العرب جاهلية وإسلاماً – بريق يخطف البصر ، ويجذب الانتباه . ومن هنا وجدنا كثرة من الإخباريين ورواة المغازى والسير يسمعون الشعر ويشاركون فيه ، ويحرصون على روايته ، ويجدون فى ذلك متعة للنفس وراحة للقلب . ومن هنا وجدنا بعض هؤلاء الإخباريين والرواة يخرجون عن قضية الخبر الذى يروونه إلى قضية طارئة وهى تفضيل شاعر على شاعر ، أو الموازنة بين شاعر وآخر ، كالذى فعله المؤرخ عبد الله بن أبى بكر بن حزم المتوفى سنة ١٣٥ هـ حين فضل حسان بن ثابت على الشاعر الأموى الفرزدق فى حكاية طويلة رواها أبو الفرج الأصبهانى فى كتابه « الأغانى » وهذا الاهتمام بالشعر من الراوية أو المؤرخ يؤكده لنا ما قاله المؤرخ محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ حين كان يحدث فى السيرة النبوية ، ثم يستروح قليلاً ليقول : (هاتوا من أشعاركم ، فإن الأذن مجَّاجة ، وللنفس حمضة) .

ومن هنا وجدنا الشعر يدخل بمقادير مختلفة فى ثنايا المؤلفات والمرويات عن سيرة النبى ومغازيه .

ومن هنا أيضاً رأينا إخباريًّا من مدرسة الكوفة وأهلها وهو نصر بن مزاحم – وقد سبق الحديث عنه – يقص علينا وقعة صفين قصًّا مشوقاً مملوءاً بالأشعار التى يكثر الإخبارى من الإدلاء بها من نظم أصحابها أو من استشهادهم . ولقد كثر الشعر فى كتاب « صفين » لنصر بن مزاحم كثرة جعلت النقاد يشكون فى صحته ، ويقررون أنه شعر منتحل موضوع .

ويخيل إليك وأنت تقرأ كتاب صفين لابن مزاحم أنك أمام ملحمة مزدحمة بالأشعار كازدحامها بالبطولات الأسطورية . فهى قصة أسطورية قصد بإدخال الشعر فيها على هذه الصورة أن تكون ميداناً للإثارة ، ومبعثاً للانفعال

والحديث عن اهتمام أصحاب المغازى والسير والأخبار والرسائل التاريخية الأولى بالشعر وإدخاله فى رواياتهم يسوقنا إلى الحديث عن تدوين التاريخ بالشعر . فالمعروف أن النثر – مرسلاً أو مسجوعاً – هو طريق تدوين التاريخ عند مؤرخى المسلمين . لأن النثر هو الطريق الطبيعى للتعبير والتدوين ، ولأن الشعر طريق مقيد بقيود الوزن والقافية فلا يجوز الالتجاء إليه فى كتابة التاريخ . ولكن على الرغم من هذا وجدنا بعض المؤرخين المسلمين يلجئون إلى الشعر عوضاً عن النثر . وقد آثروا (الرجز) لأنه مطية الشعراء ، ولأنه أسهل أنواع الشعر وأكثرها استعداداً لاختلاف

القوافى عليه من بيت إلى بيت ، بدل أن تجرى الأرجوزة على قافية واحدة .

وقد ظل المؤرخون المسلمون بمناى عن استعمال الشعر والرجز فى مصنفاتهم التاريخية إلى أن جاء الشاعر بن المعتز الذى ولى الخلافة يوماً وليلة وقتل سنة ٢٩٦ هـ فدخل تجربة جديدة بأنه صنع بأن أرجوزة فى تاريخ الخليفة العباسى المعتضد ، تقدم لنا صورة طريفة صادقة للمجتمع العربى الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى بكل أثقاله السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وقد نظم ابن المعتز هذه الأرجوزة التاريخية بناء على رغبة من الخليفة نفسه صادفت هوى واستجابة فى نفس الشاعر . ولما أنجز الشاعر أرجوزته التاريخية عرضها على « المعتضد » فسرَّ بها ، وحفّظها إحدى جواريه ، فكانت تنشده إياها فى مجالسه الخاصة ، وكان يطْرب لسماعها .

وتحدثنا أرجوزة ابن المعتز عن حالة الخلافة العباسية قبل عهد المعتضد ، وسوء الحالة الاجتماعية ، وما شاع فى البلاد من فوضى سياسية قبل تسلمه ذروة الخلافة ، فالفتن شائعة ، والرجال يصرعون غدراً ، واللصوص وقطاع الطرق يعيثون فى الأرض فساداً حتى على ضفة نهر دجلة نفسه . فلما جاء المعتضد هدأ واستقر الأمن ، وقوى الجيش ، وقضى على قطاع الطرق . وقد صور الشاعر المؤرخ ابن المعتز

الأحداث التى قامت فى عهد المعتضد ، وخاصة ثورات الترك والقرامطة ، والعلاقة بين العرب والروم .

ويبدو أن الأرجوزة التاريخية قد صادفت هوى فى نفوس المؤرخين الشعراء فوجدنا المؤرخ الأديب الأندلسى ابن عبد ربه صاحب «العقد الفريد» ومن رجال القرن الرابع الهجرى ، يضع أرجوزة فى تاريخ الخليفة عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين بالأندلس ويحاكى بها أرجوزة ابن المعتز ، ويسجل لنا القرن الخامس الهجرى أرجوزة تاريخية نظمها المؤرخ أبو طالب عبد الجبار الشاعر الذى كان يعرف بالمتنبى فى الأندلس كما كان أبو الطيب فى المشرق . وقد وصف المؤرخ بن بسام صاحب الذخيرة هذه الأرجوزة بقوله : (وله أرجوزة فى التاريخ أغرب فيها ، وأعرب بها عن لطف محله من الفهم ، ورسوخ قدمه فى مطالعة أنواع العلم) . وقد سجلها ابن بسام كاملة فى الذخيرة على الرغم من طولها ، فليرجع إليها من يشاء من القراء .

وللصفدى المؤرخ الأديب أرجوزة تاريخية عنوانها : (تحفة ذوى الألباب) وقد تناولت حكام دمشق وأمراءها منذ الفتح إلى عصر المؤلف ، وقد طبعها مجمع اللغة العربية بدمشق فى كتاب (أمراء دمشق فى الإسلام)

وقد شارك الشاعر على بن الجهم – المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ، والذى كان معاصراً لأبى تمام – فى هذا المجال الرجزى التاريخى بأرجوزة نجدها

ملحقة بذيل ديوانه المطبوع فى دمشق بعناية مجمع اللغة العربية .

وهناك أرجوزة تاريخية بأسماء سلاطين دولة المماليك بمصر ، وقد عثرنا عليها فى كتاب (بدائع الزهور ، فى وقائع الدهور) لابن إياس المؤرخ — جـ ٤ ص ٤٨٦ كما أن هناك أرجوزة بأسماء ملوك الفراعنة نظمها الشيخ طه الدمياطى المصرى ، وهى مودعة فى كتاب «العقد الثمين» للمؤرخ المتخصص فى التاريخ المصرى القديم : أحمد كمال باشا

ولابن دانيال أرجوزة تاريخية فى ذكر قضاة مصر ، وهى فى كتاب «حسن المحاضرة» للإمام المؤرخ السيوطى . وهناك أرجوزة فى تاريخ الخلفاء العباسيين أنشأها مجهول وأكملها المؤرخ ابن كثير فى الجزء الثالث عشر من كتابه (البداية والنهاية) ، ولكنه لم يذكر اسم قائلها .

وقد شاء الشاعر المعاصر أحمد شوقى أن يشارك فى تاريخ العرب والإسلام بأرجوزة تضاف فى حساب التاريخ إلى ما سبق نظمه من أراجيز أشرنا هنا إلى بعضها . وقد أوحت إليه فترة إقامته بأسبانيا — الأندلس — منفيًّا عن مصر فى خلال الحرب العالمية الأولى وفى أعقابها ، أرجوزة رائعة جعل عنوانها : (دول العرب وعظماء الإسلام) ، ولم يتح لها أن تنشر فى كتاب مستقل قائم بذاته إلا بعد وفاته سنة ١٩٣٢ م . وفى هذه الأرجوزة مواقف خالدة عند تاريخ العرب ، ولغتهم ، والوطن العربى ، والبيت الحرام ، والسيرة النبوية ، والخلفاء الراشدين ، والدولة الأموية ، ودولة بنى العباسى ، والفاطميين .

وأرجوزة شوقى هذه من بحر الرجز بالطبع ، وهى مختلفة الروى والقافية – أى أن كل بيت منها على قافية وروى مختلف عن غيره – ما عدا المشهد الخاص منها بدولة الفاطميين فإنه على قافية واحدة هى الألف المقصورة .

وما أروع الشاعر «شوقى» ، وهو يقف عند كل مجد من أمجاد الإسلام والعروبة فيقدمه فى صورة طريفة ، كوقفته وهو يصور لنا سقوط قصر الشمع ، وحصن بابليون فى يد العرب الفاتحين قائلاً :

ما بال قصر الشمع لا يضاء؟ هبَّ على مصباحه القضاء
لا فتية الرومان فى بروجه ولا غوانيهم على مروجه
ولا الليالى حوله أعراس وفوقه وتحته أحراس
وما لبابليون من بعد العجم أمست رجاماً من نواحيه الأجم
لم تغن عنه رفعة الأسوار ولا جثوم الأسد الأسوار
وأين فى أفقيهما فسطاط للنجم عن سُدَّته انحطاط
قد ألقيا إليه بالمقالد وخرجا من طارف وتالد
سرادق ينفذ حكم ربه من منبع النيل إلى مصبه

وترجع طرافة الأرجوزة التاريخية عامة إلى شاعرية ناظمها ولطف حسه الأدبى ، فإذا كان شاعراً رقيقاً كانت أرجوزته التاريخية رقيقة طريفة ، كالذى نجده فى أرجوزة ابن المعتز ، وأرجوزة شاعرنا أحمد شوقى ، وإذا كان منشئ الأرجوزة التاريخية نظامًا لا غير – جاءت

أرجوزته جافة متكلفة ، مثل أرجوزة المؤرخ الإمام السيوطى فى نظم أسماء الخلفاء العباسيين ، فقد نظمها بدافع المعارضة والمناقضة لبعض الأقدمين ، وزعم أنه (عمل قصيدة أحسن منها) فخرجت متكلفة سمجة مثل أغلب الشعر التعليمى الذى يُقصد به حفظ المتون . وأرجوزة السيوطى التاريخية هذه أهون من أن نقتبس منها هنا شيئاً ، فليرجع إليها من شاء من القراء فى كتابه (تاريخ الخلفاء) المطبوع بالقاهرة منذ عشرات السنين . . .

على أن هناك من الشعراء من صاغ لنا بعض الأحداث والوقائع التاريخية صياغة فنية أدبية مبتكرة ، كالذى نجده عند الشعراء القدامى الذين تحدثوا عن «أيام العرب» فى الجاهلية والإسلام ، وكالذى نجده فى شعر المتنبى ووصفه لوقائع سيف الدولة ولقاء العرب ضد الروم ، وكالذى نجده فى شعر الشاعر ابن هانئ الأندلسى وخاصة وصفه لمجىء العبيديين الفاطميين إلى مصر لفتحها . وكالذى نجده فى شعر محمود سامى البارودى ووصفه لبعض حروب الدولة العثمانية التى شارك هو فيها بنفسه ، وكالذى نجده فى بعض قصائد شوقى ووصفه للأساطيل فى البحر المتوسط ، ولجيوش الدولة العثمانية فى حروبها التى عاصرها شاعرنا الكبير . .

المؤرخون من غير المسلمين

حين يكون كتابنا هذا عن (التاريخ عند المسلمين) فإن هذا العنوان يوحى إلينا بمن أسهم فى كتابة تاريخ الإسلام والعرب من غير المسلمين. والحق أننا نجد منذ القدم أن بعض النصارى والصابئة والمجوس قد دخلوا ميدان التأليف فى التاريخ سواء أكان ذلك فى التاريخ العام، أم تاريخ البلدان، أم تاريخ الكنيسة، أم تاريخ طائفة من الطوائف غير الإسلامية.

وقد استرعى نظرنا أن بعض المؤرخين من غير المسلمين قد أسلم أو أسلم أبوه فخرج ابنه مسلماً، وأن بعضهم - ممن بقى على ديانته، وأن بعض هؤلاء المؤرخين غير المسلمين كان يشغل مناصب دينية عالية كمنصب البطريرك لطائفة معينة. كالذى نجده عند المؤرخ «سعيد بن البطريق» المتوفى سنة ٣٢٨ هـ. وقد كان ابن البطريق عالماً بالطب وممارساً له كما كان مؤرخاً ورجلاً من رجال الدين المسيحى فى مصر على المذهب الملكانى. وقد ألف كتابه (نظم الجوهر) فى التاريخ وقدمه لأخيه عيسى وجعله فى معرفة التاريخ العام من عهد آدم إلى ٣٢١ هـ - أى قبيل وفاته ببضع سنوات. وقد صار ابن البطريق بطريركا على مدينة الإسكندرية فى سنة ٣٢١ هـ التى ينتهى عندها تاريخه. وبالإضافة إلى

ما فى تاريخه من التاريخ العام ، فإنه قد ضمنه كثيراً من أخبار النصارى وأعيادهم ، وذكر البطارقة وأحوالهم وما جرى فى عهودهم . ويمكن أن نتعرف من هذا الكتاب على تاريخ المسيحية وانتشارها وأخبار رجالها فى مصر. وقد صنع المؤرخ يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ ذيلاً على كتاب نظم الجوهر لابن البطريق ، فأكمل الكتاب من سنة ٣٢٦ هـ إلى سنة ٤٢٥ هـ . وواضح أن يحيى بن سعيد الأنطاكى هو من كتاب النصارى ومؤرخيهم .

ومن المؤرخين النصارى الذين شاركوا فى التاريخ العربى «أبو صالح الأرمنى» وكان يعيش حتى أواسط القرن السادس الهجرى بمصر. ولا يعرف شئ ذو جدوى من أخباره ، وإن كان ينسب إليه كتاب عن مصر ونواحيها وبعض معالمها وآثارها المسيحية والكنائس والأديرة وما يصاقبها من البلاد . ويقال إنه بدأ فى تأليفه سنة ٥٦٤ هـ . وقد نشرت أكسفورد الجزء الأول منه مع ترجمة إنجليزية وشروح وتعليقات .

وفى القرن السابع الهجرى يصادفنا فى مصر مؤرخ قبطى هو (المكين بن العميد) المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، وهو من أهل القاهرة ومواليدها سنة ٦٠٢ هـ ، وكان أبوه كاتباً فى جيش الشام تحت إمارة «علاء الدين طيبرس» ، وتولى ابنه هذا المنصب شابًّا ، فلما غضب السلطان المصرى على طيبرس أمر بالقبض على كتّابه وفيهم مؤرخنا وأبوه ،

وساقهم إلى مصر حيث سجنوا فيها . وقد توالت على الابن ظروف متقلبة من الحبس والإفراج .

وله كتاب فى التاريخ العام عنوانه (المجموع المبارك) فى جزأين ، أولها منذ بدء الخليقة إلى ظهور الإسلام ، والآخر من ظهور الإسلام إلى سنة ٦٥٨ هـ . وقد ذيل عليه مؤرخ قبطى اسمه «المفضل بن أبى الفضائل المصرى» ، فأرخ فيه من سنة ٦٥٨ هـ إلى الملك الناصر بن قلاوون سنة ٧٤١ هـ . وقد تناول فيه تاريخ البطارقة ، واليعاقبة و تواريخ المسلمين فى اليمن والهند وبلاد التتار . »

وفى عصر المكين بن العميد يصادفنا مؤرخ قبطى آخر معاصر له هو ابن الواهب القبطى » المتوفى سنة ٦٨١ هـ ، وكان يشتغل شماساً فى دير المعلقة بالفسطاط ، ومازال بالدير حتى توفى . وله كتاب فى التاريخ العام بدأه بآدم ، وتحدث فيه عن قضاة بنى إسرائيل ، فملوك الروم إلى مجىء المسيح عليه السلام ، مع اهتمامه بتاريخ البطاركة وسيرهم من مرقس إلى أثناسيوس" بطريرك الإسكندرية ، وما حدث فى أيامهم . وقد تناول تاريخ الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم إلى أيامه .

ونجد قريباً من المكين بن العميد مؤرخاً نصرانيًّا مشهوراً هو أبو الفرج الملطى » ، المعروف بأبى العبرى ، وقد توفى سنة ٦٨٥ هـ ، وهو أرمنى الأصل من بلدة ملطية ، ونشأ فى أسرة غنية ذات جاه ، واشتغل باللاهوت والفلسفة والطب ، وتولى مناصب دينية مختلفة عالية ، كان

آخرها أن بطريرك السريان اليعاقبة عينه (مطراناً) على المشرق. وكان ذلك فى عهد هولاكو التترى، ولكنه أحسن اتصاله بهذا الفاتح المخرب، فأنعم عليه وثبته فى منصبه الدينى الكبير، وقد تفرغ للتأليف بالعربية والسريانية، وألف كتابه المشهور (تاريخ مختصر الدول) بالسريانية أولاً، ثم أشير عليه أن ينقله إلى العربية فقبل. وهو من الكتب الجيدة فى التاريخ العربى الإسلامى العام، وله فيه نظرات وتعليقات جيدة.

ويتقدم بنا الزمن إلى القرن الثانى عشر الهجرى فيصادفنا مؤرخ مسيحى لبنانى هو السمعانى المتوفى سنة ١٧٦٨ م، وله كتاب (المكتبة الشرقية) وهو أهم مؤلفاته التاريخية البيلوجرافية، وله كتاب آخر هو (أصل الرهبان فى لبنان) طبع فى مدينة روما سنة ١٨٤١ م.

وقد أسهم جماعة من المؤرخين المسيحيين والمعاصرين فى كتابة التاريخ، كالذى نجده عند «نقولا الترك» المتوفى سنة ١٨٣٧ م فى كتابه (تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية) وهو عن الحملة الفرنسية التى كان مرافقاً لها. وكما نجده عند المؤرخ المتعدد نواحى الثقافة «جرجى زيدان» المتوفى سنة ١٩١٤ م. وقد شارك فى كتابة تاريخ العرب والإسلام بطائفة من الكتب منها: (أنساب العرب القدماء) و(تاريخ التمدن الإسلامى) بأجزائه الخمسة، و (التاريخ العام منذ الخليقة إلى الآن) و (تاريخ مصر الحديث) بجزأيه الكبيرين، و (تراجم

مشاهير الشرق) و (العرب قبل الإسلام) . هذا بالإضافة إلى رواياته التاريخية المشهورة التى عرض فيها تاريخ الإسلام والعرب حتى العصر الحديث على هيئة قصص تاريخية مشوقة .

وقد أسهم المؤرخ القبطى «ميخائيل شاروبيم» المتوفى سنة ١٩١٩ م فى كتابة تاريخ مصر بكتابه الجليل (الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث) بأجزائه الأربعة ، كما كتب نعوم شقير المسيحى اللبنانى والمتوفى سنة ١٩٢٢ م فى (تاريخ السودان القديم والحديث) و (تاريخ سيناء) .

ولقد ظهر قبيل ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ كتاب عن العلاقة بين الأقباط والمسلمين فى مصر ، كتبه مؤرخ متمصر من أهل لبنان اسمه (جاك تاجر) ، وقد جانبه التوفيق فى مواطن غير قليلة ، مما كاد يثير فتنة طائفية كانت مصر غنية عنها ، وإن كان إنصافه للمسلمين نادراً فى بعض المواطن .

وللأستاذ «زكى شنودة» المحامى مساهمة فى تاريخ المسيحية والأقباط فى مصر ، فله كتاب ضخم فى تاريخ المسيح عليه السلام ظهر أول أجزائه فى أكثر من ألف صفحة ، وله كتاب آخر فى ثمانية أجزاء كبار عنوانه (موسوعة تاريخ الأقباط) .

ولعل من دلائل الإنصاف للمؤرخين المسيحيين أن نمر مروراً سريعاً بأسماء جماعة منهم كانت لهم مشاركة طيبة فى كتابة التاريخ ، منهم ميخائيل الدمشقى . صاحب كتاب (تاريخ حوادث الشام ولبنان)

والمطران يوسف الدبس صاحب كتاب (تاريخ سورية) ، وجميل نخلة المدور صاحب كتاب (حضارة الإسلام ، فى دار السلام) ، وعيسى إسكندر المعلوف صاحب كتاب (روانى القطوف ، فى تاريخ بنى المعلوف) و (تاريخ مدينة زحلة) ، والدكتور نقولا زيادة وله (صور من التاريخ العربى) و (رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى) وغيرهما ، والدكتور فيليب حتى ، صاحب كتاب (تاريخ العرب) ، والدكتور أسد رستم صاحب (مصطلح التاريخ) ، والدكتور عزيز سوريال عطية المؤرخ المصرى المختص بتاريخ العصور الوسطى والحروب الصليبية ، ومحقق كتاب «قوانين الدواوين» لابن مماتى .

وقبل أن نختم هذا الفصل نعود إلى المؤرخين من المجوس والصائبة الذين أسلموا على أصول غير إسلامية ، ومنهم هلال الصابى المتوفى سنة ٤٤٨ هـ ، وكان أبوه صابئيًّا ، أما هو فأسلم متأخراً ، وتولى الكتابة لفخر الملك بن غالب . وكتابه فى (تاريخ الوزراء) جليل فى موضوعه ، لأنه يتناول تاريخ الوزارة فى الدولة العباسية من ٣٦٠ هـ إلى سنة ٤٤٧ هـ أى قبيل أن يموت بعام واحد .

أما مسكوية المؤرخ المتوفى سنة ٤٢١ هـ فكان مجوسيًّا وأسلم ، وهو صاحب كتاب (تجارب الأمم) الذى اتخذ فيه منهجاً فى التاريخ يعتمد على التحرى والتدقيق أكثر مما يعتمد على النقل . ويلاحظ فى عنوان كتابه أنه يريد أن يجعل من التاريخ ميداناً لعرض التجارب التى مرت بها الأمم

قبلها ، حتى يكون فيه أكبر العبر. وهو مؤرخ زكى يتفطن إلى مسائل صغيرة وأحداث عابرة ، قد لا يلتفت إليها أحد ، ولكنه يستخرج منها أعظم الدروس ، كتفطنه إلى أن الأتراك الذين استبدوا بالخلافة العباسية كانوا يتعمدون أن يختاروا للخلافة البله وأصحاب الغفلة وصغار السن من أولاد العباسيين ، ويتعمدون أن يحرموهم قراءة الكتب المفيدة حتى لا يحاسبوهم على أعمالهم ، وحتى يكونوا دائماً لعبة فى أيديهم . .

المؤرخون المسلمون

من غير العرب

حين نستعرض أسماء المؤرخين المسلمين الذين ألفوا فى ميادين التاريخ المختلفة ما بين المغازى والسير والفتوح وأيام العرب والأنساب والأخبار والطبقات والبلاد والمدن والأمصار والتاريخ العام وغيرها فإننا نجد أكثرهم من العرب الأقحاح الذين يرجعون بنسبهم إلى أصول عربية . ومن الطبيعى أن يكون العرب أنفسهم أولى بكتابة تاريخهم ، وأحق بالرواية له والتصنيف فيه .

ولعل أسماء عربية كثيرة تصادفنا بين المسلمين حتى عهد المؤرخ الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ والذى يعد كتابه فى التاريخ العام بداية لمرحلة جديدة شامخة فى الكتابة التاريخية ، والذى انصبَّ فى كتابه العظيم كل الروايات والأخبار والكتب والرسائل التاريخية الأولى التى فقدت ، ولم يبق لها وجود إلا بين دفتى تاريخ الطبرى .

ومن بين هذه الأسماء العربية للمؤرخين المسلمين وأصحاب المغازى والسير والطبقات والإخباريين «أبان بن عثمان بن عفان» ، وعروة بن الزبير بن العوام ، وشراحبيل بن سعد ، وعبد الله بن أبى بكر بن حزم ،

وعاصم بن عمر بن قتادة ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، ووهب بن منبه ، وموسى بن عقبة و محمد بن إسحاق صاحب السيرة النبوية ، ومحمد بن عمر الواقدى ، ومحمد بن سعد صاحب الطبقات ، وأبو مخنف لوط بن يحيى ، وعوانة بن الحكم ، وسيف بن عمر ، ونصر بن مزاحم ، والمدائنى ، وأبو اليقظان النسابة ، ومحمد بن السائب الكلبى ، وهشام بن محمد الكلبى ، ومصعب الزبيرى النسابة ، والهيثم بن عدى ، وأبو عمرو بن العلاء ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، واليعقوبى وغيرهم .

غير أننا فى خلال هذا الخضم الهائل من أسماء المؤرخين العرب قد تصادفنا بعض أسماء غير عربية ، ولكنها ترجع إلى أصول أعجمية ، ومن هؤلاء أبو معشر السندى المولود باليمن من أب سندى كان يتكسب بالخياطة . ومن هنا كانت فى لسان مؤرخنا أبى معشر لكنة وتمتمة تنم على أصله غير العربى . ومنهم أبو عبد الله محمد بن منده الأصفهانى المتوفى سنة ٣٠١ هـ ، وله كتاب مفقود فى تاريخ أصبهان ، وأحمد بن أبى طاهر الملقب بطيغور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ، وهو صاحب كتاب تاريخ بغداد الذى يعد من المصادر الأساس للطبرى . والمعروف أنه من سلالة ملوك خراسان ؛ والحسن بن محمد بن الحسن القمى المتوفى سنة ٤٠٦ هـ ، وهو صاحب «تاريخ قم» الذى ألفه للصاحب بن عباد ، وسهل بن هارون المتوفى سنة ٢١٥ هـ وهو من أصل فارسى ، ولما اتصل

بالمأمون العباسى حاز عنده قبولاً ، فولاه خزانة الحكمة ، وكان من الشعوبيين الذين يرون للعجم فضلاً على العرب ومزية ، حتى ليروى أن كتابه الذى مدح فيه البخل وذم الكرم قصد منه السخرية من المثل الأعلى عند العرب . ويماثله فى الشعوبية « علان بن الحسن » الذى كان وراقاً فى خزانة الحكمة زمن الرشيد والمأمون ، وقد جمع فى كتاب له سماه (حلبة المثالب) كل ما نقله الرواة من العيوب والمطاعن فى القبائل المتنافس بعضها مع بعض فى الأزمنة القديمة. ومن هؤلاء المؤرخين غير العرب أبو العباس أحمد بن يحيى البلاذرى صاحب كتاب « فتوح البلدان » . وتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ . وهو أول من ألف كتاباً كاملاً فى التاريخ العام ، ويعد من أوائل من كتبوا التاريخ على حسب السنين لا على حسب الحوادث والموضوعات ، وعيب هذه الطريقة أنها تقطع الحوادث على حسب حصولها فى سنين مختلفة ، ولا تستوفى الحادثة الواحدة فى موضع واحد . وقد جمع الطبرى مواد تاريخه من الأحاديث النبوية وأقوال من قبله من الرواة والإخباريين والمؤلفين ، ولهذا يعد كتابه وعاء صان كثيراً من الكتب والرسائل المفقودة ، لأنه سجل فى تاريخه كل هذه الروايات والرسائل ، ويروى الطبرى فى تاريخه عن الحادثة الواحدة آراء كثيرة فيها ، متأثراً بمنهجه فى تفسير القرآن ، وقد يرجح رأياً على رأى . وقد غلبت عليه فى تاريخه طريقة المحدثين وأهل الحديث ، فهو يروى الحادثة عن جملة من

الرواة ، ويترك للقارئ اختيار أحسن الآراء وأقربها للتصديق والقبول .

وتظهر شخصية الطبرى المؤرخ فى كتابه عن التاريخ ، فيقول أحياناً : (والصحيح عندنا ذلك) أو يقول : (وأنا أشك فى ذلك) وكأنه بذلك يستهوى القارئ ويستدرجه إلى أن يأخذ معه برأيه .

ومن المؤرخين المسلمين غير العرب الذين جاءوا قبيل الطبرى بقليل : أبو حنيفة الدينورى – نسبة إلى الدينور – فهو غير عربى ، وقد توفى سنة ٢٨٢ هـ . وهو متعدد نواحى الثقافة فى النحو واللغة والحساب والنبات والتاريخ ، ولكنه اشتهر كمؤرخ بسبب كتابه (الأخبار الطوال) فى التاريخ العام ، وقد أوجز فى التاريخ القديم ، وأطال فى تاريخ الإسلام وما تلاه من عضور حتى أيامه وتوسع فى تاريخ بنى أمية وخاصة أخبار على ومعاوية والخوارج والأزارقة ، وينتهى تاريخ الدينورى بوفاة الخليفة المعتصم العباسى سنة ٢٢٧ هـ .

وبعد عصر الطبرى المؤرخ نجد أن حبل المؤرخين المسلمين غير العرب يمتد ويطول ، فنجد للأعاجم مشاركة فى كثير من فنون التاريخ ، إلا أنهم لم يستطيعوا – على كثرتهم – أن يحجبوا الوجه العربى من الوجود .

ومن هؤلاء المؤرخين أبو زيد البلخى المتوفى سنة ٣٢٢ هـ وهو من مواليد بلخ وإن كانت نشأته بالعراق ، وقد أسهم فى كتابة التاريخ العام بكتابه : (البدء والتاريخ) الذى توسع فيه فى أخبار الخليقة ، وقصص الأنبياء ، وأخبار الدول الماضية والأمم القديمة . وقد أرخ فيه للخلفاء حتى

أيامه . وكان للبلخى مشاركة فى علوم الجغرافية عند المسلمين بكتابه المشهور : (صور الأقاليم) . ومن هؤلاء المؤرخين من أصول غير عربية : حمزة بن حسن الأصفهانى المتوفى سنة ٣٥٠ هـ وكان من الشعويين الذين يتعصبون لغير العرب ، وعول فى كل ما ألفه على المصادر الفارسية التى كان يديم الاطلاع عليها . وكتابه فى (تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء) معروف ، وتحدث فيه عن أنساب القحطانيين ، ونسب حمير ، وسائر قبائل العرب من غسان ولخم وكندة ، وقبائل عدنان الشمالية ، كما اهتم بأخبار ملوك الفرس والروم وغيرهم من غير العرب . وكان يعنى بتحقيق سنة الولادة والوفاة . ومنهم مسكويه المؤرخ وقد تحدثنا عنه فى هذا الكتاب بما فيه الكفاية ، وأصله من مجوس الفرس ثم أسلم كما سلف القول . ومنهم أبو إسحاق الثعلبى صاحب كتاب «عرائس المجالس» ، وأصله من نيسابور ، وتوفى سنة ٤٢٧ هـ . وأبو النصر العتبى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ و أصله من الرى ثم تركها إلى خراسان . وهو صاحب كتاب (اليمينى) فى تاريخ حياة السلطان محمود بن سبكتكين وحروبه مع الخوارزمية . وقد كتبه على طريقة السجع ، لا على طريقة النثر المرسل ، كالذى فعله الثعالبى فى كتابه «يتيمة الدهر» ، والباخرزى فى «الدمية» . ومنهم أبو الكرم الأندرسفانى الفردوسى ، صاحب كتاب «المستقصى» فى السيرة النبوية ، وهو من مؤرخى القرن السادس . ومنهم العماد الأصبهانى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، وهو صاحب «الفتح القدسى فى الفتح القدسى»

فى وصف حرب صلاح الدين لفتح بيت المقدس ، «ونصرة الفطرة» فى تاريخ السلاجقة ووزراتهم و (خريدة القصر) فى تراجم رجال القرن السادس الهجرى . والبندارى المتوفى بعد سنة ٦٢٣ هـ ، وهو الذى اختصر كتاب العماد الأصبهانى فى تاريخ السلاجقة ، كما ترجم الشاهنامة– وهى الإلياذة الفارسية– إلى اللغة العربية . ومنهم الفخر الرازى المفسر الحكيم المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ، وله كتاب (تاريخ الدول) فى جزأين : أولهما فى سياسة المملكة وتدبير الدولة ، والآخر فى تاريخ الخلفاء الراشدين والبويهيين والسلاجقة والفاطميين . ومنهم أبو المحاسن بن تغرى بردى التركى المصرى المولد ، المتوفى سنة ٨٧٤ هـ ، وهو صاحب كتاب (النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة) و (مورد اللطافة ، فيمن ولى السلطة والخلافة) و (نزهة الرأى) فى التاريخ و (حوادث الدهور) وقد جعله ذيلاً على كتاب (السلوك فى دول الملوك) للمقريزى .

ولا ينفرد ابن تغرى بردى الأتابكى بتُركيَّته بين المؤرخين المسلمين ، فهناك أبو عبد الله مغلطاوى اليكجرى التركى المتوفى سنة ٧٦٢ هـ ، وقد أسهم فى التاريخ بكتابه (الزهر الباسم ، فى سيرة أبى القاسم) وهو فى سيرة النبى عليه السلام . وهناك أيضًا من مؤرخى الأتراك المسلمين : قينالى زاده المتوفى ٩٧٩ هـ ، وكان من كبار العلماء المدرسين فى تركية . وكتابه فى طبقات علماء الحنفية يدخل فى التاريخ من باب الطبقات

والتراجم ، وهى فن من فنون التاريخ كما سبق القول .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نلم إلمامة قصيرة بالمؤرخ ابن إياس المتوفى سنة ٩٣٠ هـ ، وهو شركسى الأصل ، تتلمذ على الإمام المؤرخ المصرى السيوطى . وله كتاب بدائع الزهور ، فى وقائع الدهور) وهو فى تاريخ مصر إلى سنة ٩٢٨ هـ ، وقد رتبه على حسب السنين والشهور . ونجد فيه تفصيلاً لحوادث الفتح العثمانى لمصر سنة ٩٢٢ هـ لأنه كان معاصراً لهذه الأحداث ، وكان شاهد عيان لهذه الحملة . وعلى الرغم من ازدحام الكتاب بالتفاصيل الهامة فهو ركيك العبارة يكاد يكون مكتوباً باللغة العامية ، مع ارتفاع الأسلوب أحيانًا ، وهبوطه فى أكثر الأحايين .

ولابد هنا من الحديث عن بعض المؤرخين المسلمين من أهل الأناضول والروملى والآستانة . ومنهم طاشكبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٨ ، وهو صاحب كتاب (الشقاشق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية) . وقد ترجم فيه لقرابة ٥٢٢ عالماً تركياً منذ أيام السلطان عثمان إلى أيام السلطان سليمان القانونى ، وقد كتبه باللغة العربية التى كان يجيدها كتابة ومخاطبة ، ويعد طاشكبرى زاده بهذا الكتاب من المؤرخين الذين تخصصوا فى كتابة التراجم ، ولابد أن يأتى هنا فى هذا المعرض اسم (حاجى خليفة) المتوفى ١٠٦٨ هـ ، وصاحب كتاب (كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون) وهو معجم واسع شامل لأسماء الكتب العربية التى كانت مخطوطة على عهد المؤلف ، وبلغ عدد الكتب فيه نحواً من ١٤٥٠٠ كتاب مرتبة على

الحروف الهجائية . ويأتى بعد اسم الكتاب اسم مؤلفه وتاريخ وفاته وموضوع كتابه . وهو أوسع وأشمل مرجع للمدونات والمصنفات العربية منذ ابتداء عصر التدوين ، ويعد (الفهرست) لابن النديم بجانبه عملاً ضئيلاً ، فإن ما بين الرجلين فى الزمن قد ضخم حجم المؤلفات العربية إلى حد بعيد . وقد ألفه حاجى خليفة بالعربية ، وإن كان للرجل بعض مؤلفات باللغة التركية ، منها (تقويم التواريخ) ، و (الفذلكة) وهو تاريخ وجيز للدولة العثمانية ، و(تحفة الكبار فى أسفار البحار) وموضوعه الأسطول العثمانى ونشأته وتطوره .

المعاينة والمشاهدة

فى كتابة التاريخ

وقفنا – ونحن نقرأ ما كتبه المؤرخون المسلمون والعرب عن تدوين السيرة النبوية والمغازى – عند عبارة جليلة تسترعى النظر للمؤرخ محمد بن عمر الواقدى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ . فنى ذلك الزمن الأول البعيد منا ، وفى أواخر القرن الثانى الهجرى وأوائل الثالث تستوقفنا عبارة لهذا المؤرخ الذى سارت بذكره الركبان ، وتقاطر عليه الناس لعلمه بالمغازى والسير والفتوح ، حيث يقول لنا محدثاً عن نفسه : (ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ، ولا مولى لهم إلا سألته : هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده ، وأين قتل ؟ فإذا أعلمنى مضيت إلى الموضع فأعاينه . . .) ولفظة (أعاينه) هنا تدلنا على منهج سليم من مناهج كتابة التاريخ عند المؤرخين المسلمين الأولين . فهو لا يكتنى بالسؤال والاستخبار ، ولكنه يمضى إلى أبعد من هذه الخطوة الهينة السهلة ، فيعاين ويشاهد المشاهد والآثار والمواقع التى على أرضها وعلى بقعتها الأصلية ، حيث تمتزج هنا المعاينة بالمعرفة فتتكون من ذلك الحقيقة التاريخية التى ينشدها ولا يخنى ما كانت تكلفه المعاينة والمشاهدة فى ذلك

الزمن الأول البعيد من المشقة وعناء الرحلة ، مع قلة الوسائل ، وندرة الوسائط ، ومشقة الطريق ، وفقدان الأمن فى الأرباض النائية ، والمواقع النازحة . ولكن (الواقدى)- مع ذلك- يكابد العناء ليحقق منهجاً تاريخيًّا سليماً هو منهج «المعاينة» .

وتدلنا روح المعاينة والمشاهدة عند المؤرخ الواقدى على سلامة نظرته النقدية حتى يستكمل بذلك الشهود للمواقع عدته التاريخية ، ويمحص مادته . وقد تفيده المعاينة كسباً غالياً ثميناً لوثائق جديدة ، وحجج حاضرة لم تكن تتاح له لولا هذا (الاستحضار) المادى للمواقع .

ونحن لا نزعم أن كل المؤرخين الأولين عند العرب والإسلام كانوا على مذهب «المعاينة» مثل محمد بن عمر الواقدى ، فربما اكتفى أكثرهم بالسؤال والاستخبار واستغنى بهما عن المشاهدة . ولكن الموقف الذى اتخذه الواقدى يؤكد لنا نظراً تاريخيًّا صحيحاً عند بعض مؤرخينا الأولين .

وقد جرى بعض المؤرخين المسلمين فى القرون الأولى للإسلام على مذهب (المعاينة) توثيقاً لما سمعوه من أخبار ، وتوكيداً لما تلقفوه من روايات . فهذا المؤرخ «المسعودى» صاحب كتاب (مروج الذهب) والمتوفى سنة ٣٤٦ هـ ورائد طبقة المؤرخين الكبار بعد الطبرى المؤرخ ، ينادى منذ أكثر من ألف عام بمنهج (المعاينة) . ويعتمد فى التحقيق التاريخى على الرحلة والمشاهدة . وهذا بالإضافة إلى احتياطه وحذره فى السماع .

فنراه - مثلاً - يقف أمام الجاحظ المشهور - وهو من هو علماً وتحقيقاً وتدقيقاً واعتماداً على المشاهدة - فيناقشه فى بعض المعلومات والمعارف الجغرافية التى ذكرها الجاحظ غير معتمد على رؤية ، ولا مستوثق من خبر ، ويسجلها كأنها من المسلَّمات فيقول المسعودى : (وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن نهر مهران - الذى هو نهر السند - من النيل) ويمضى المسعودى فى نقده للجاحظ فيقول : (ويستدل - أى الجاحظ - على أنه من النيل بوجود التماسيح . . . فلست أدرى كيف وقع له هذا الدليل ؟ وذكر ذلك فى كتابه المترجم بكتاب : «الأمصار» ، وهو كتاب فى نهاية الغثاثة ، لأن الرجل لم يسلك البحار ، ولا أكثر من الأسفار ، ولا يعرف المسالك والأمصار ، وإنما كان حاطب ليل ، ينقل من كتب الوراقين . أو لم يعلم أن نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالى بلاد السند من أرض الفتوح إلى مملكة بورره وأرض قشمير - يعنى كشمير - والقفندار و الطافر ، حتى ينتهى إلى بلاد المولتان ، ومن هناك يسمى نهر مهران ؟) .

وهذه الحملة الشديدة على الجاحظ العالم الموسوعى تؤكد لنا حرص بعض المؤرخين المسلمين على منهج (المعاينة) وعدم الاعتماد على النقل والسماع ، بل توكيد ذلك بالمشاهدة والاطلاع . وقد استفاد المسعودى من رحلاته وأسفاره لوناً من الحس التاريخى الصادق ، فهو - بحكم أنه رحالة جغرافى - قد يسمع الحكاية هنا ، والحكاية هناك ، وقد لا تتفق

الحكايات عن شيء واحد- كما هو المعروف- فإذا وقع له أن يعاين الشيء بنفسه فهنا ينفضُّ الخلاف ، وتتقرر الحقيقة . ومن هنا أدرك المسعودى فى تاريخه مبلغ تخبط أصحاب الأخبار فى أخبارهم . وقد وقف للجاحظ مرة أخرى فيما زعمه فى كتاب «الحيوان» من أن الكركدن يُحمل فى بطن أمه سبع سنين ، وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ! ! ثم يدخل رأسه فى بطنها ، ويقول المسعودى بعد إيراده لقول الجاحظ : (فبعثنى هذا الوصف على مسألة من سلك الديار من أهل سيراف وعمان ، ومن رأيت بأرض الهند من التجار . . . وكلٌّ يتعجب من قوله – يعنى من قول الجاحظ – إذا أخبرته بما عندى من هذا وسألته عنه ، ويخبروننى أن حمْله وفصاله -أى الكركدن- كالبقر والجواميس . ولست أدرى كيف وقعت هذه الحكاية للجاحظ ، أمن كتاب نقلها ، أم من مخبر أخبره بها ؟)

ويصادفنا بعد المسعودى مؤرخ إسلامى آخر فى القرن السادس الميلادى الهجرى فأكد قيمة المعاينة ، واهتم بالآثار التى خلفها الأقدمون ومبلغ قيمتها فى كتابة التاريخ ، والاستيثاق منها على حوادثه . ذلك المؤرخ هو عبد اللطيف البغدادى الذى زار مصر فى العصر الأيوبى ، ودون ملاحظات ومشاهدات تدل على الفطنة والحس التاريخى الصحيح ، كما تدل على العقلية العلمية المنهجية فى كتابة التاريخ . فقد لاحظ إهمال أهل مصر للآثار المصرية القديمة . وإغفال القيمة التاريخية

العظيمة لها ، وانصرافهم عن قيمتها التاريخية المعنوية إلى قيمتها المادية بالبحث عن الكنوز المخبوءة فيها طمعاً فى المال ، والتماساً للثراء ، ولوكان على حساب هذه الذخيرة العلمية التى لا تقوم بمال مهما عظم فقد شاهد بعينيه المعابد تحطم ، والهياكل تهدم ، والتماثيل تكسر رءوسها أوتبتر أطرافها ، ويصف الذين يفعلون ذلك بأنهم متلصصون يدخلون البيوت من غير أبوابها ، ويفسدون صور الآثار ، إفساد من يرجو عندها المال ، ويخاف منها التلف . وله فى ذلك الباب كلام ثمين نحيل القارئ عليه فى كتاب رحلته .

ويبدو أن روح المعاينة والمشاهدة قد تسللت إلى المؤرخين المشهورين : المسعودى فى القرن الرابع ، وعبد اللطيف البغدادى فى القرن السادس بحكم أنهما جمَعا بين الاشتغال بالتاريخ والجغرافية والآثار . والجغرافية لا تكفى بالنقل والسماع الذى يكون مظنة للخطأ ، ولكنها تعتمد على المعاينة والرؤية ، ومن هنا كان مذهبهما فى كتابة التاريخ على طريقة (المعاينة) أصح المذاهب ، وأكثرها انطباقاً على الأصول .

وقد يكون المؤرخون المسلمون الذين ناصروا مذهب (المعاينة) فى كتابة التاريخ قلة قليلة لا تتناسب هى وهذا العدد الضخم الهائل من المؤرخين الذين تركوا لنا تراثاً ضخماً فى التاريخ ، يتباهى به التاريخ الإسلامى ، والذين اعتمدوا على النقل أوعلى الرواية التاريخية التى قد تتضارب وتتعارض فى الحادثة الواحدة تضارباً يوقع القارئ فى حيرة

شديدة ، فلا يدرى أى الروايات يأخذ ، وأيها يدع . إلا إذا عنَّى نفسه بالتحقيق والمقابلة والمعارضة بين نص ونص ، والرجوع إلى وثائق أخرى حتى ينكشف له وجه الحق ؟ ولكن هذه القلة من أصحاب المعاينة فى التاريخ عند المؤرخين المسلمين يجب ألا تزعجنا ، فإن قلة من المؤرخين الغربيين- فى القديم والحديث- تعتمد على المعاينة ، ولكن الكثرة الكاثرة منهم تعتمد على الكتب والوثائق المحفوظة ، وتجعل من هذه الأمور بديلاً قد يغنى عن المعاينة حين يصعب أو يتعذر اللجوء إليها . ولهذا نجد المؤرخ الإنجليزى المعاصر أ . ل . راوس **A.L. Rawse** الذى اشتهر بكتابه عن العصر الإليزابيثى يشير إلى هذه الحقيقة حينما قال فى بعض اعترافاته من سنوات : (أغلب الذين يكتبون التاريخ -كما يبدو لى- إنما يسطرون كتبهم نقلاً عن كتب غيرهم . ولهذا لم يكن غريباً أن هذه الكتب يلوح عليها من سمات الموت ما يلوح على الضأن البارد . كما لاحظ «وايلد ليبتس» فى بعض المناسبات) ، ومن هنا آثر راوس فى كتاباته التاريخية البعد عن النقل ، وفضل المعاينة والرحلة ، حتى قالت فيه إحدى المجلات الأدبية المشهورة وهى تنقد كتابه عن عصر الملكة إليزابيث : (إن المؤلف فى هذا الكتاب لم يرض لنفسه أن يكتفى بالكتب والوثائق المكتوبة وحسب ، ولكنه انتقل فى البلاد من مكان إلى مكان ، لعله يعثر على بعض الدلائل الباقية الدالة على الحياة فى العصر الذى يؤرخ له ، محاولاً أن يصل إلى صورة حقيقية لأصل العصر الإليزابيثى) .

ومن حسن الحظ اننا نجد مؤرخاً عربيًّا معاصراً يذهب إلى المعاينة والرحلة فى كتابة التاريخ ، وهو المؤرخ جرجى زيدان الذى أكد لنا هذا المذهب فى المقدمة الجليلة التى كتبها لكتابه المشهور : (تاريخ مصر الحديث) ، حيث يقول فى عبارته المؤثرة المعبرة : (وقد عنيت – إتماماً لمعدات التأليف – بتفقد الآثار العربية بنفسى ، بإذن من نظارة الأوقاف الجليلة زرت معظم جوامع القاهرة وضواحيها ، ولا سيما ما كان منها قديماً ، كجامع عمرو ، وجامع ابن طولون ، والجامع الأزهر ، وجامع السلطان حسن ، وجامع برقوق ، وجامع قايتباى ، وجامع الغورى وغيرها . وزرت ما هنالك من البنايات القديمة كالقلعة وما جرى مجراها ، وتسلقت ما صعب مسلكه منها ولا سيما أسوار القاهرة القديمة ، وأبوابها . . .. إلى أن يقول : أما الآثار المصرية القديمة فقد تفقدتها كلها أيضاً ، ولا سيما ما هو منها فى مصر العليا ، مبتدئاً من أهرام الجيزة بالجيزة إلى ما وراء وادى حلفا آخر حدود مصر . . . كل هذه الأماكن تفقدتها جيداً إتماماً لمعدات التأليف) .

بين النقل والمصادر

اعتمد المؤرخون المسلمون أول الأمر– وخاصة فى تدوين المغازى والسيرة والفتوح– على الرواية والنقل راويًا عن راو ومحدثاً عن محدث . والجمع التاريخى للمادة الأولى للتاريخ قد يكون عن طريق الرواية الشفهية ، فنجد عند الأولين من مؤرخينا أمثال هذه العبارات : حدثنا فلان عن فلان . أو أخبرنا فلان عن فلان وهذه هى الروايةبطريق (السند) أو (الإسناد) وقد استعملها المؤرخ الطبرى حين دون أول كتاب له فى التاريخ العام ، واتبعها بعده عدد غير قليل من المؤرخين . وقد يكون جمع المادة التاريخية عن طريق الرواية المكتوبة– لا الشفهية– أو الخبر المدون المسطور . وقد يتصرف الراوى فى المادة والرواية التى يرويها تصرفاً يرجع إلى مزاجه الخاص وإلى مبلغ حرصه على التقيد بالنص أو بعده عنه . فأحياناً نجد الراوية يتصرف فى اللفظ والعبارة . وهذا نوع أمين من الرواية ، لأنه لا يبعد النص المروى عن حقيقته .

ويحتاج الأخذ بالرواية إلى الحذر البالغ من المؤرخ ، وإلى بصره بالرجال ومعرفته بقيمة أخبارهم ، وموقفهم من الأصالة «والوضع» . ولقد كان الطبرى المؤرخ يتحرج فى هذا الباب كثيراً ، حتى لقد أبى أن يأخذ شيئاً من «حماد» الراوية ولم يذكره فى كتابه الضخم إلا مرتين

لا غير ، لأن حماداً اشتهر بالوضع ، والكذب . كما أن ما اشتهر عن سيرته الشخصية من المجون وعدم الجدية فى المسلك الحياتى قد نفر الطبرى من الأخذ عنه .

وفرق كبير بين الحس التاريخى عند المؤرخ ، والحس التاريخى عند الأديب . فأبو الفرج – صاحب الأغانى – لم يتأثم فى الأخذ عن حماد فى كل مروياته الأدبية ، على حين تحرج الطبرى المؤرخ من الأخذ عنه . فالأديب بحكم العاطفة والخيال والانفعال – قد يجمع بلا تثبت ، إلا إذا كان فى مجال للتحقيق ، أما المؤرخ – بحكم العقل والتحقيق والتثبت – فقد يقف عند من ينقل عنه أكثر من مرة حتى يتيقن صحة روايته ، أويتثبت من أصالته وبعده عن الوضع والكذب .

ولقد كان الطبرى المؤرخ بالإضافة إلى اشتغاله بالتاريخ فقيهاً مفسراً يتبع طريقته الحفاظ ورجال الحديث فى الإسناد ، لا تهمه طرافة الخبر الذى يرويه ولا غرابته قدر ما تهمه صحته ، على العكس من رجل كأبى الفرج الأصبهانى الذى لم يكن يعنيه من الخبر إلا غرابته وطرافته سواء أصح أم لم يصح

ولقد كثر الرواة الذين كان ينقل الطبرى عنهم كثرة واضحة فى كتابه الجليل . فنجد عنده أسماء كثيرة من الإخباريين والمؤرخين الأولين وأصحاب الكتب والرسائل والمدونات الأولى فى التاريخ من أمثال ابن شبة ، والمدائنى ، وابن الكلبى – الذى أفاد منه الطبرى فى تاريخ الفرس

لإحاطته به– وابن إسحاق الإخبارى مؤرخ السيرة النبوية ، ووهب بن منبه ، وعروة بن الزبير ، والسندى ، وأبى عبيدة ، وسيف بن عمر التميمى المتوفى سنة ١٨٠ هـ والذى كانت كتبه وأخباره وثيقة معتمدة عند أكثر المؤرخين لأنه كان حجة واقفاً على أخبار الإسلام والمسلمين فى أول العهد تمام الوقوف . ويوضح النص التالى من كتاب الطبرى طريقته فى الإسناد ، كما كان يفعل أصحاب الحديث ، فهو يقول فى خبر ارتداد هوازن وسليم وعامر عن الإسلام بعد أن التحق النبي عليه السلام بربه . (حدثنا السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل وعبد الله قالا : أما بنو عامر فإنهم قدموا رِجْلاً وأخروا أخرى ، ونظروا ما تصنع أسد وغطفان . فلما أحيط بهم . . . إلخ) . وكل كتاب الطبرى فى تاريخه على هذا النحو من الإسناد وذكر الرواة واحداً عن واحد . وتصادفنا عنده أمثال هذه العبارات : حدثنا . حدثنى . حُدثت عن فلان . وقد يعترض ما بين التحديث قائلاً : قال الواقدى ، أوقال ابن إسحاق ، أو قال سهل أوغيرهم من الرواة . وقد يقول : قال أبو جعفر ، ويريد بذلك نفسه . .

ومن هنا كان لتاريخ الطبرى قيمة كبيرة ، لأن هذا السند توثيق للأخبار المروية وتوكيد لها . على أن من المؤرخين السابقين على الطبرى ، مثل ابن واضح اليعقوبى المتوفى بعد سنة ٢٩٢ هـ لم يذهب مذهب الإسناد ، واكتفى بإيراد الأخبار غير مسندة إلى أصحابها . ولكنه فى

مقدمة تاريخه سجل أسماء الرواة الذين روى عنهم مرة واحدة ، ولم يأت بها فى متن الكتاب ، ولعله فى ذلك راعى جانب الاختصار ، كما فعل المرحوم الشيخ محمد الخضرى– مؤرخنا المصرى المعاصر– حين هذب كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، فحذف منه الأسانيد والعنعنات ، واقتصر على نصوص الأخبار داتها .

ولم يكن اليعقوبى المؤرخ ممن آثر وحده التخلص من طريقة الإسناد والعنعنات والرواة ، فهناك المؤرخ المسعودى صاحب كتاب (مروج الذهب) والمتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، فهو يمضى فى سرد الخبر أو الحادثة بدون ذكر سنده أو رواته ويسرد النص التاريخى كأنه هو صاحبه . وقد صنع ما صنعه اليعقوبى فى مقدمة كتابه ، فذكر فى مقدمة مروج الذهب الإخباريين والمؤرخين والمصنفين الذين نقل عنهم أو استفاد منهم ، ولم يذكرهم فى متن الكتاب ين يدى الأخبار.

وقد لجأ المؤرخون المسلمون من كتاب التراجم والسير إلى طريقة الاتصال الشخصى بالمترجم لهم والقرب منهم ، والتتبع الحركى لهم كما فى ترجمة ابن شداد المؤرخ ت ٦٣٢ هـ لصلاح الدين الأيوبى حينما ألف كتاباً فى سيرته ، وكما فى ترجمة العتبى المؤرخ ت ٤٢٧ هـ للسلطان محمود الغزنوى فى كتابه المعروف باسم (اليمنى) . وكما فى ترجمة الوزير لسان الدين بن الخطيب ت ٧٧٦ هـ للسلطان محمد بن يوسف ملك غرناطة بالأنداس .

وقد يستمد مؤرخ التراجم والسير معلوماته ومواد تاريخه عن طريق السماع والنقل الشفهى ، فيتلقى المؤرخ أخبار من يترجم له سيرته وحياته سامعاً من هذا أو ناقلاً عن ذاك ، كما صنع المؤرخ ابن خلكان صاحب (وفيات الأعيان) حين نقل عن أفواه الرجال المعاصرين له ، وكما صنع من قبله أبو عبد الله الخشنى ت ٣٦١ هـ حين ترجم حياة قضاة الأندلس فى كتابه المشهور : (قضاة قرطبة) ، فهو يقص أخبار المترجم له قائلاً : «وسمعت بعض أهل العلم يحكى» أو قائلاً : «وحكى لى عنه بعض إخوانى» ، وكما صنع المؤرخ ابن سعيد المغربى الأندلسى حين يسمع من كثير من الناس ومنهم والده المؤرخ الأديب . فيقول : أخبرنى والدى . أو غير ذلك من العبارات .

ولقد اتبع مؤرخو الطبقات والتراجم الأولون طريقة الإسناد والعنعنة ، كالذى نجده فى طبقات (ابن سعد) المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، لأنه كان من أوائل الذين ألفوا فى السير والمغازى والرجال ، فجرى فى الإسناد على طريقة أصحاب الحديث . وتبعه فى ذلك أبو الفرج الأصبهانى المتوفى سنة ٣٥٦ هـ . والخطيب البغدادى ت ٤٦٣ هـ فى كتابه (تاريخ بغداد) حيث ترجم فيه لمئات ومئات من أعيان بغداد وعلمائها وأدبائها ، وابن الجوزى فى كتابه (المنتظم فى تاريخ الأمم) ، والذهبى ت ٧٤٨ هـ فى كتابه (تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام) وغيرها مما لا سبيل إلى حصره فى هذا الحيز الضيق . ولكن

المؤرخ وكاتب التراجم ابن خلكان ت ٦٨١ هـ تخلص فى كتابه (وفيات الأعيان) من طريقة الإسناد هذه ، لأن صفة رجال الحديث وطريقتهم فى الرواية والسند لم تغلب عليه كما غلبت على مؤرخ للتاريخ العام مثل الطبرى الذى سبق الحديث عن طريقته فى تاريخه .

ومن المنابع التى يعتمد عليها المؤرخون وكتاب السير والتراجم فى تواريخهم الكتب التى رجعوا إليها ، وأخذوا منها ، واستعانوا بها فى جمع مادتهم التاريخية . وتسمى هذه الكتب عادة باسم : (المصادر) أو (المراجع) . وقد كان المؤرخون المسلمون منذ عهود تدوين التاريخ يذكرون مصادرهم والكتب التى نقلوا عنها فى مقدمات تواريخهم . وكان من السابقين إلى هذا العمل المؤرخ المسعودى ، الذى لم يكتف فى كتابه (مروج الذهب) بذكر موارد كتابه ومصادره ، بل جاوز ذلك إلى تقويم هذه المصادر ونقدها ووزنها بالميزان الصحيح ، حتى يكون القارئ على بينة من أمرها . وخير ما يؤيد كلامنا عنه هو هذا النص الذى نسوقه هنا من مقدمة «مروج ذهبه» حيث يقول : (فأما عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى فمن كثرت كتبه ، واتسع تصنيفه ، ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته . وأما تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، الزاهى على المؤلفات ، والزائد على الكتب المصنفات فقد جمع أنواع الأخبار ، وحوى فنون الآثار ، واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب تكثر فائدته ، وتنفع عائدته ، وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه

فقيه عصره ، وناسك دهره ، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار ، وحملة السنن والآثار. وكذلك تاريخ أبى عبيد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطى النحوى الملقب بنفطويه ، فحشو من ملاحة كتب الخاصة ، مملوء من فوائد السادة ، وكان أحسن أهل عصره تأليفاً ، وأملحهم تصنيفاً. وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولى فى كتابه المترجم بكتاب «الأوراق» فى أخبار الخلفاء من بنى العباس وبنى أمية وشعرائهم ووزرائهم . . .) ويمضى المسعودى فى سرد أسماء مصادره وتقويمها وتحليلها والحكم على أصحابها وبيان مبلغهم من العلم والوثاقة التاريخية .

وقد ذكر السيوطى مراجعه ومصادره فى مقدمة كتابه المشهور : (حسن المحاضرة ، فى أخبار مصر والقاهرة) .

وفى هذا المعرض من القول نشير إلى أن المقريزى المؤرخ ت ٨٤٥ هـ وصاحب كتاب «السلوك فى دول الملوك» وغيره قد استعمل فى كتابه المشهور : (الخطط) الطرق الثلاثة المعتمدة فى الأخبار ، وهى الرواية الشفوية عن الأشخاص ، والرواية المكتوبة– أو النقل عن الكتب والمصادر– والمعاينة والمشاهدة التى كانت ضرورية فى كتاب مثل الخطط يشتمل على كثير من آثار مصر ومشاهدها .

ولم يكد يشذ واحد من المؤرخين المسلمين منذ عصر التدوين عن ذكر مصادرهم والكتب التى رجعوا إليها فى مقدمة تآليفهم ، فقد صنع الإمام المؤرخ الذهبى ت ٧٤٨ هـ هذا فى مقدمة كتابه «تاريخ الإسلام» كما

صنعه المؤرخ المصرى ابن حجر ت ٨٥٢ هـ فى مقدمة كتابه «الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة»، وصنعه ابن العماد الحنبلى ت ١٠٨٩ هـ فى مقدمة كتابه المعروف: «شذرات الذهب فى أخبار من ذهب».

ويميل المؤرخون المعاصرون إلى ذكر المصادر والمراجع فى ثبت خاص بأول كتبهم أو فى آخرها، كما يميل بعضهم إلى ذكر مصادر كل باب من أبواب كتابه فى نهاية ذلك الباب، وهو تقليد أخذه مؤرخونا المعاصرون عن الأجانب.

ويجرى فريق غير قليل من المؤرخين المعاصرين على ذكر المصادر والمراجع فى هوامش كتبهم حيث يحيلون إليها بأرقام خاصة. فيجد القارئ مصدر الخبر أو الحادثة مسجلاً فى الهامش، تحت المتن الأصلى للكتاب، بدلاً من إفراد المصادر بثبت خاص فى أول الكتاب التاريخى أو فى آخره.

وقد توسع المؤلفون عامة – ويدخل فيهم المؤرخون – بذكر المصادر والمراجع مقرونة بأسماء مؤلفيها، وتاريخ طبعها ومكان الطبع، وهو تقليد يسهل على الباحث ومريد التوسع فى الاطلاع أن يرجع إلى تلك المصادر بأدنى جهد، وأيسر سبيل . . .

تواريخ البلدان والخطط

لقد وزع المؤرخون المسلمون والعرب مناهجهم فى كتابة التاريخ على مجالات شتى . فمنهم من كتب فى السير مبتدئاً بسيرة الرسول عليه السلام ، ومنهم من كتب فى الطبقات والرجال ، وفى التراجم والسير ، ومنهم من كتب فى التاريخ العام ، ومنهم من كتب فى تواريخ الخلفاء ، كما فعل المؤرخ السيوطى ، ومنهم من كتب فى أخبار النساء مثل أحمد بن أبى طاهر طيغور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ ، والأبيوردى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ وله كتاب فى (تاريخ النساء) . ومثل ابن عساكر المؤرخ وله كتاب « معجم النسوان » ، وعلى بن أنجب البغدادى المتوفى سنة ٦٧٤ صاحب كتاب« تاريخ نساء الخلفاء » ، ومنهم من كتب فى تاريخ البلدان وفتوحها وأسماء الأعلام فيها من المولودين بها أو الطارئين عليها . وقد انبثق من تاريخ البلدان تاريخ الخطط والأمصار كما نراه عند المقريزى المؤرخ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ، وهو صاحب كتاب (الواعظ والاعتبار ، بذكر الخطط والآثار) المشهور باسم خطط المقريزى . وهو كتاب يجمع ين التاريخ والجغرافيا ، ويمثل بحق الصلة الوثيقة ين هذين العلمين وارتباط بعضهما ببعض بحيث لا ينفصلان .

وحين نستعرض عصور التاريخ الإسلامى على مر العصور تصادفنا

عشرات من المؤرخين الذين ألفوا فى تواريخ البلدان ، والمدن ، والخطط ، ولم يقصروا فى حق تواريخ الأقاليم الموزعة فى أنحاء الأمة العربية والرقعة الإسلامية الواسعة .

ومن أوائل من صنفوا فى ذلك – بعد عهد الإخباريين الذين تركوا لنا الرسائل الأولى الضائعة – أبو عمر الكندى المتوفى قريباً من سنة ٣٥٥ هـ ، وله كتب منها « فضائل مصر » الذى ألفه لكافور الإخشيد مشتملاً على ما جاء ، عن مصر فى القرآن والحديث ، مع نبذ من تاريخها القديم وتاريخها الحديث حتى عصر كافور ، فى إيجاز شديد ، لأنه حاول أن يغطى مساحة كبيرة من تاريخ مصر فى مجال قصير . ومن كتبه « أخبار الولاة والقضاة » فى مصر ، وتاريخ مصر ومنه نسخة خطية فى المتحف البريطانى .

ومن مؤرخى البلدان كذلك ابن القوطية المتوفى سنة ٣٦٧ هـ وهو أندلسى من أهل أشبيلية . وقد اهتم بتاريخ بلاده : الأندلس ، فألف كتابه المشهور : « تاريخ الأندلس » مبتدئاً بفتح الأندلس على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى سنة ٢٨٠ هـ .

ويمثل لنا المؤرخ ابن زولاق المتوفى سنة ٣٨٧ هـ مثالاً آخر من مؤرخى البلدان ، وقد اهتم بوطنه : مصر ، فألف فيها كتابه « تاريخ مصر وفضائلها » وكتابه الآخر : مختصر تاريخ مصر » إلى سنة ٤٩ هـ . واقتنى

خطوات سلفه أبو عمر الكندى ، أول رائد فى تاريخ مصر ، فأتم كتابه فى تاريخ قضاة مصر.

وامتدت مسيرة التاريخ لمصر فيما بعد الكندى إلى «عز الملك المسبحى» المتوفى سنة ٤٢٠ هـ وأصله من حران ، إلا أن مولده بمصر فى أول العصر الفاطمى دفعه إلى الولاء لها بتأليف كتاب عنها فكان لنا من ذلك كتابه العظيم : (أخبار مصر) الذى تحدث فيه عمن نزل بمصر من الولاة والأفراد والأئمة والخلفاء ، وذكر ما فيها من العجائب فى الأبنية والمشاهد وألوان الطعام ، وكان النيل موضع اهتمامه ، وينتهى فيه إلى حوادث سنة ٤١٤ هـ . وقد جاء ابن ميسر المؤرخ فأكمله وجعل له ذيلاً انتهى فيه إلى حوادث سنة ٥٥٣ هـ .

ولو تتبعنا مسيرة الزمن فيمن كتب من مؤرخى المسلمين فى تواريخ البلدان لوجدنا الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ يكتب كتاباً ضخماً فى (تاريخ بغداد) . وله مقدمة طويلة تحتوى على أصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها وأحيائها وقصورها ودورها ومدائنها كما كانت عليه فى أيامه ، ويلى ذلك تراجم لعلماء بغداد وأدبائها وشعرائها .

وقد رتب الخطيب كتابه فجعل الأعلام فيه على حروف المعجم ، مراعياً أوائل أسمائهم لا الأسماء التى اشتهروا بها . واختص المحمدين بالبدء تبركاً باسم الرسول عليه السلام . وقد جاء ترتيب أسماء الكتاب على الاسم الأول – لا على اسم الشهرة – عملاً يضيف إلى صعوبة البحث عن

الأعلام . وهى نفس الصعوبة التى نجدها فى كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان .

وفى سنة ٥٥٠ هـ نجد ابن القلانسى المحدث المؤرخ المتوفى سنة ٥٥٥ هـ يؤلف كتاباً عنوانه (ذيل تاريخ دمشق) ، وقد ذيل به على كتاب هلال الصابى المتوفى سنة ٤٤٨ هـ . وبعد قليل من صدور كتاب ابن القلانسى فى تاريخ دمشق ، ظهر كتاب (تاريخ دمشق) للحافظ المؤرخ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ ، وقد تأثر فيه بمنهج البغدادى فى تاريخ بغداد . فترجم فيه لأعيان دمشق من علماء ورواة ومحدثين وسياسيين وأدباء وشعراء ووزراء .

ونجد قريباً من زمن ابن عساكر مؤرخاً يهتم بتاريخ اليمن وهو الشاعر المؤرخ عمارة اليمنى المتوفى سنة ٥٦٩ هـ . وقد دفعه الولاء البلدى إلى الاهتمام بتاريخ بلده : اليمن ، وإن كان ألفه وقدمه للقاضى الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبى وإمام الإنشاء فى عصره .

وفى القرن الخامس يصادفنا المؤرخ الأندلسى ابن حيان المتوفى سنة ٤٦٩ هـ ، وقد ألف فى تاريخ بلاده كتابين مشهورين : أولهما المبين ، والآخر : المقتبس فى تاريخ الأندلس . وهما مشحونان بتراجم الرجال على عادة المؤلفين فى تواريخ البلدان .

ومن ألف فى تواريخ المغرب والأندلس : ابن عذارى المراكشى صاحب كتاب « البيان المغرب . فى أخبار المغرب » . وابن بشكوال

صاحب الصلة ، وابن الأبار ، وابن الفرضى صاحب «تاريخ الأندلس» ، والضبى صاحب «بغية الملتمس» . وعلى رأس مؤرخى الأندلس يجىء «المقرى» صاحب كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وقد توفى سنة ١٠٤١ هـ ، فهو من رجال القرن الحادى عشر الهجرى ، ويعد كتابه موسوعة كاملة فى تاريخ الأندلس ومحاسنها وفتح المسلمين لها ، ومن توالى عليها من الأمراء ، ومن ولد بها أو وفد عليها من الأعيان والعلماء ، مع ترجمة وافية موسعة للوزير المؤرخ لسان الدين بن الخطيب . ويعد نفح الطيب أصدق صورة لحياة الأندلس الاجتماعية والأدبية والسياسية من زمن الفتح إلى عصر المؤلف .

ولقد حظيت مدن وعواصم إسلامية عربية أكبر بالتأريخ لها ، مثل القاهرة ، ودمشق ، وحلب ، وبيروت ، وزبيد باليمن ، وبيت المقدس ، والفيوم وغيرها .

فعن القاهرة نجد المؤرخ ابن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ هـ يكتب كتابه (النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة) ، ونجد المؤرخ السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ يصنف كتابه (حسن المحاضرة ، فى أخبار مصر والقاهرة) ، ونجد ابن القلانسى ، وابن عساكر يؤلفان فى تاريخ دمشق كما سلف القول ؛ وعن حلب نرى المؤرخ الكمال بن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ ، أوسنة ٦٦٦ هـ يؤلف كتابه المشهور (بغية الطلب فى تاريخ حلب) . وله مختصران الأول : (زبدة الحلب ، فى تاريخ حلب) لابن

العديم نفسه ، والآخر : (الدر المنتخب فى تكملة تاريخ حلب) لابن خطيب الناصرية المتوفى سنة٨٤٣ هـ كما نجد للمؤرخ محب الدين بن الشحنة المتوفى سنة ٨٨٣ هـ كتاباً عنوانه : (الدر المنتخب ، فى تاريخ مملكة حلب) . وكتاباً آخر لرضى الدين بن الحنبلى المتوفى سنة ٩٧١ هـ عنوانه (در الحبب ، فى تاريخ حلب) .

ويلاحظ أن ابن العديم كتب أولاً عن تاريخ حلب كتابه « بغية الطلب » مرتباً على الحروف والأسماء ، ثم عاد فاستخلص الزبدة من البغية مرتباً على السنين كما يقول هو فى مقدمة الزبدة التى حققها المرحوم سامى الدهان ونشرها المجمع الفرنسى بدمشق .

أما بيروت فقد أُلف فيها كتاب كتبه صالح بن يحيى من أمراء العرب فى سورية فى القرن التاسع الهجرى ، وقد جمع بين التاريخ وعلم الفلك والنجوم . واسم الكتاب (تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بنى الغرب) . وقد نشره الأب لويس شيخو اليسوعى عن مطابع بيروت سنة ١٩٠٢ وزوده بالخرائط والفهارس .

وفى تاريخ القدس نجد كتاباً لعبد الرحمن العليمى قاضى قضاة بيت المقدس والمتوفى سنة ٩٢٧ هـ وعنوان الكتاب : (الأنس الجليل ، فى تاريخ القدس والخليل) . وهو فى وصف القدس والخليل ، وما جاء فى آثارهما وأخبارهما والوقائع الحربية المتصلة بهما .

أما مدينة زبيد باليمن فقد اهتم بأخبارها وتاريخها المؤرخ أبو عبد الله

الزبيدى المتوفى سنة ٩٤٤ هـ ، واسم كتابه (بغية المستفيد فى أخبار مدينة زبيد) وهو تاريخ موسع لمدينة زبيد ومن أسسها ومن وليها من الملوك والأمراء إلى آخر المائة التاسعة . ولعل من المناسب هنا أن نقول إن الزبيدى لم يكتف بالتاريخ لمدينة يمنية هى : زبيد ، بل توسع وامتد أفقه فألف كتاباً فى تاريخ اليمن كله عنوانه : (قرة العيون ، فى أخبار اليمن الميمون) ، ومنه نسخة خطية فى دار الكتب بالقاهرة .

أما مدينة الفيوم فقد لقيت اهتماماً من المؤرخ أبى عثمان النابلسى الصفدى ، وكان من أعيان العصر الأيوبى ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب ، وألف له هذا الكتاب عن (تاريخ الفيوم وبلاده) . وفيه وصف لمدينة الفيوم وأحوالها وسكانها وما طرأ على تاريخها السياسى من تقلبات حتى عصر المؤلف .

ولن يفوتنا هنا أن نلم إلمامة قصيرة بما كتب عن مدينة غرناطة الأندلسية عاصمة ملوك الأحمر ، والمدينة التى شهدت الأحداث المفجعةالمبكية لسقوط الأندلس . فقد ألف فيها المؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦ هـ كتاباً عنوانه (الإحاطة ، فى أخبار غرناطة) ، وهو من تحقيقات المؤرخ المصرى المعاصر الأستاذ محمد عبد الله عنان . وقد صنع ابن الخطيب مقدمة لكتابه كشف فيها عن الباعث الذى حمله على التأليف فى تاريخ غرناطة ، وهو باعث يرجع إلى العصبية الإقليمية ، والنزعة البلدية ، كما صرح بهذا فى قوله :

(فداخلتنى عصبية لا تقدح فى دين ولا منصب ، وحمية لا يذم فى مثلها متعصب) .

ويلاحظ أن هذه العصبية والحمية كانت الدافع دائماً الذى حمل المؤرخين المسلمين على التأليف فى تواريخ أوطانهم الإقليمية ومدنهم . وكما نالت غرناطة حظًّا من التاريخ لها كمدينة أندلسية ، وعاصمة إسلامية عربية ، حظيت مدن أندلسية أخرى بالتأريخ لها ، مثل ألبيرة ، وقرطبة ، وغيرهما .

والحق أن لسان الدين قد كشف فى مقدمته للإحاطة عن نزعة وطنية . وروح قومية عالية . دفعته إلى تأليف كتابه عن غرناطة . فكان غرامه بالأندلس عامة ، وبغرناطة خاصة سبباً فى إنجاز كتابه الواسع . وتكشف العبارة التالية فى المقدمة عن روحه الوطنية العالية حيث يقول : (فلست ببدع ممن فتن بحب وطن ، ولا بأول من شاقه منزل فألفى بالعطن ، فحب الوطن معجون بطينة ساكنه ، وطرفه مغرى بإتمام محاسنه) .

ولن ندع هذا الموضع من البحث دون أن نشير إلى كتاب فى تاريخ جرجان كتبه حمزة بن يوسف السهمى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ، وهو مؤرخ حافظ ، ولهذا انحصر اهتمامه فى معرفة علماء أهل جرجان مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم ، وإن كان قد بدأ الكتاب بتاريخ فتح جرجان ، ومن دخلها من الصحابة والتابعين ، مع إطالة الوقوف عند يزيد بن

المهلب فاتح جرجان وأولاده ، وتسمية خططها ومساجدها .

وإذا كانت القاهرة قد ظفرت فى القديم بمن يؤرخ لها ، أو لخططها كما فعل المقريزى ، فإنها فى العصر الحديث قد لقيت اهتماماً من المؤرخين ، وتجمع الكتب الحديثة عن القاهرة بين التاريخ السياسى ، وتاريخ البلدان والخطط ، فمما ظهر من ذلك كتاب (القاهرة) للأستاذ شحاته عيسى إبراهيم وهو جيد فى بابه ، وكتاب (القاهرة) للدكتور المؤرخ عبد الرحمن زكى ، الذى ألف (موسوعة مدينة القاهرة فى ألف عام) ، وكتاب (القاهرة : تاريخها وآثارها من عصر جوهر الصقلى إلى الجبرتى) وهو جيد مزين بالصور والخرائط ، و (سيرة القاهرة) للمؤرخ البريطانى ستانلى لين بول ، وقد ترجمه الدكتوران حسن إبراهيم حسن وعلى إبراهيم حسن ؛ أما ما يتصل بخطط القاهرة فقد صدر فيه : (القاهرة) للمهندس المؤرخ فؤاد فرج ، فى ثلاثة أجزاء ، وفيه تاريخ القاهرة وخططها حتى ١٩٤٥ ، و (مساجد القاهرة ومدارسها) للدكتور أحمد فكرى ، و (مساجد القاهرة قبل عصر المماليك) للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق ، و (تخطيط القاهرة) منذ نشأتها للمؤرخ الأثرى المرحوم حسن عبد الوهاب .

فهرس الموضوعات

الكتاب القادم :

الخلق الفنى — د. مصرى عبد الحميد حنورة

رقم الإيداع	١٩٧٧/٤٦٢٣
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ – ٢٤٧ – ٤٩ – X

١٠٤/٧٧/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)